

امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن
إسكندر جديد

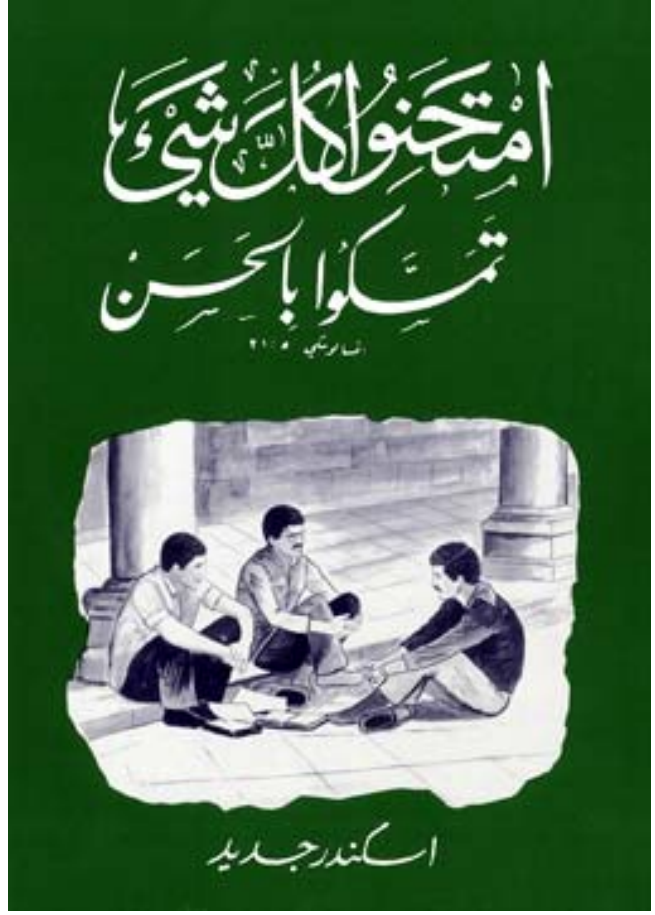
2010 All rights reserved
الطبعة الأولى 1978
AR-4940-LIT

English title: Test Everything, But Hold On to the Good!

German title: Prüfet alles, aber das Gute behaltet

The Good Way
P.O. Box 66
CH - 8486 Rikon
Switzerland

www.the-good-way.com
ebook-ar@the-good-way.com



الفهرس

٢	امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن
٢	الصليب في الإنجيل والقرآن
٥	مثيرو الحرب
٨	الخطية
١٤	بوذا والمسيح
٢٠	بنوة المسيح لله
٢٢	الخلاصة
٢٤	مسابقة كتاب امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن

امتحانوا كل شيء تمسكوا بالحسن

هذه الآية هي دعوة دار الهداية، وآلة الامتحان. هي كلمة الله، بدليل قول الكتاب المقدس: «إلى التَّشْرِيعَةِ وَإِلَى الشَّهَادَةِ. إِنْ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ فَلَيْسَ لَهُمْ فَجْرًا» (إشعيا ٨: ٢٠).

أبها الصديق الكريم،

جاء في أول رسالتك: «هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» (سورة يوسف ١٢: ١٠٨) وهذه الكلمة جعلتني لأول وهلة أؤمن أنك صاحب طريقة ومن الذين يعملون بقول القرآن: «وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (سورة العنكبوت ٢٩: ٤٦).

ولكن ما ان قرأت الأبيات الشعرية ابتداءً بالقول: «عجباً بالمسيح بين النصارى»، حتى منيت بخيبة، لأن معظم المسلمين الذين اتصلوا بنا اجترأوا الآيات عينها، مثلها عندهم كالأية القرآنية القائلة: «مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» (سورة النساء ٤: ١٥٧).

فعملاً بالمحبة التي تتأني وترفق التي يعتمدها المسيحي الحقيقي في نصره الحق، أتقدم إليك بما يلي:

الصليب في الإنجيل والقرآن

قال رسول الجهاد العظيم بولس: «لَأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلَكِنَّا نَحْنُ نَكْرَهُ بِالْمَسِيحِ مَضْلُوبًا؛ لِلْيَهُودِ عَثْرَةٌ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةٌ! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوعِينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ» (١ كورنثوس ١: ٢٢ - ٢٤).

وقال أيضاً: «وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَهْمًا الْإِخْوَةَ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُو الْكَلَامِ أَوْ الْحِكْمَةِ مُنَادِيًا لَكُمْ بِشَهَادَةِ اللَّهِ، لِأَنِّي لَمْ أَعْزِمُ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِلَيْهِ مَضْلُوبًا» (١ كورنثوس ٢: ١ - ٢).

وإذا ما تأملنا في شهادات رسل المسيح، الذين رافقوه وعرفوه كوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً، ومن ملئه أخذوا نعمة فوق نعمة، نرى أن الإنجيل الذي أخذوا من ملئه وبشروا به منذ فجر المسيحية، وقبله الناس وبه خلصوا،

إنما كان الخبر السار الذي أوجزه الرسول بولس بهذه العبارات الصريحة إذ قال: «وَأَعْرَفْتُكُمْ أَهْمًا الْإِخْوَةَ بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقَوْمُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ... فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (١ كورنثوس ١٥: ١ - ٤).

وقال الرسول يوحنا: «فَإِنَّ الْحَيَاةَ أَطْهَرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْأَبِ وَأَطْهَرَتْ لَنَا. الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرَكَةٌ مَعَنَا» (١ يوحنا ١: ٢ - ٣). هذا كقوله في الإنجيل «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يوحنا ١: ١٤).

وقال الرسول بطرس لليهود: «أَهْمًا الرِّجَالِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ أَسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالَ: يَسُوعَ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنْ لَكُمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ بِقَوَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَأَيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ. هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلِّمًا بِمَشُورَةِ اللَّهِ الْمُحْتَمَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أُمَّةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ» (أعمال الرسل ٢: ٢٢ - ٢٣).

شهادات الأنبياء

جاء في الأسفار المقدسة نبوات كثيرة عن أحداث تقترن بموت المسيح على الصليب وقد تمت كلها بالحرف:

- يُباع بثلاثين من الفضة ويشرى بثمنه حقل يدعى «حقل الفخاري» (زكريا ١١: ١٣)
- يُسَمَّر من يديه ورجليه (على خشبة الصليب) (مزمو ٢٢: ١٦ - ١٧)
- يُتَخَن بالجراح (إشعيا ٥٣: ٥)
- يُجَلد بالسياط (مزمو ١٢٩: ٣)
- يُتَقَبَّل آلامه بصمت (إشعيا ٥٣: ٧)

- يُضْرَب ويصق في وجهه (إشعيا ٥٣: ٣، ٤، ٨)
- يُسْتَهْزَأُ به (مزمو ٢٢: ٦ - ٨)

لوسيان اليوناني سنة ١٠٠ ميلادية. وهذا العالم المؤرخ، قد كتب عن المسيح والمسيحيين. وأبرز ما جاء في قوله: «أن المسيحيين ما زالوا يعبدون ذلك الرجل العظيم الذي صُلب في فلسطين، لأنه أدخل إلى العالم ديانة جديدة».

شهادة شعار الصليب

هذا دليل مادي لا يستطيع أحد أن ينكره. لأن إشارة الصليب منذ أقدم عهود المسيحية، قد نقشها المسيحيون الأوائل على أضرحة الموتى، وفي السرايب التي كانوا يجتمعون فيها زمن الاضطهاد.

شهادة التلمود اليهودي

من المعروف أن التلمود كتاب مقدس لدى اليهود. ففي النسخة التي نُشرت عام ١٩٤٣، جاء في الصفحة ٤٢: «لقد صُلب يسوع قبل عيد الفصح بيوم، لأنه ساحر وقصده أن يخذع إسرائيل ويضلهم».

شهادة التواتر

في ممارسة المسيحيين فريضة العشاء الرباني، التي تذكروهم بموت المسيح على الصليب شهادة حية على مرور الزمن أن المسيح مات مصلوباً.

الصليب في الإسلام

حين نتأمل في نصوص القرآن يتضح لنا أن هذا الكتاب إن كان حسب الظاهر ينفي الصلب عن المسيح، فهو لم ينف موته قبل ارتفاعه إلى السماء. والواضح أن القرآن يحتوي على ثلاثة نصوص تؤكد موته بكلمة وفاة أو موت، ونصين يؤكدان موته قتلاً.

- «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» (سورة مريم ١٩: ٣٣).
- «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» (سورة آل عمران ٣: ٥٥).
- «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ» (سورة المائدة ٥: ١١٦ - ١١٧).

- يُسقى خلاً (مزمور ٦٩: ٢١)

- يقتسم الجند ثيابه بالقرعة (مزمور ٢٢: ١٨)

- يُطعن بحربة (زكريا ١٢: ١٠)

- يموت بين لصين ويُدفن في قبور الأغنياء (إشعيا ٥٣: ٩).

إعلانات المسيح

في مناسبات عديدة، صرّح يسوع المسيح لتلاميذه بأن رسالته الخلاصية تستلزم موته على الصليب. وقد دُوّن هذا التصريح في الإنجيل بحسب متى ١٧: ٢١، مرقس ٨: ٣١، لوقا ٩: ٢٢، ويوحنا ٣: ١٤ - ١٥.

قيامه المسيح

في اليوم الثالث لصلبه حدثت آية الآيات، فالمسيح قام. ويخبرنا متى أنه: «عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الْأُخْرَى لِيَنْتَظِرَا الْقَبْرَ (قبر يسوع). وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لَأَنَّ مَلَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبُرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَيْضَ كَالثَّلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ آرْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ. فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ لِلْمَرَاتَيْنِ: لَا تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لِأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ» (متى ٢٨: ١ - ٦).

شهادة التاريخ

إن موت المسيح على الصليب مؤيد بالوثائق التاريخية، التي كتبها المؤرخون القدماء من وثنيين ويهود منهم:

- **تاسيتوس الوثني**: سنة ٥٥ ميلادية، فهذا المؤرخ كتب في مؤلفاته فصولاً ضافية عن صلب يسوع وما تحمّل من الآلام.
- **يوسيفوس اليهودي**: فهذا المؤرخ الذي وُلد بعد الصلب بسنوات قليلة، كتب تاريخ أمته في عشرين مجلداً، وقد كتب في أحد مؤلفاته بياناً عن صلب المسيح بأمر من بيلاطس البنطي.

عمران: «يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي» عالج مسألة الشبه بكل موضوعية، قال:

من مباحث هذه الآية موضع مشكل أن نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفع عيسى ألقى شبهه على غيره. «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» (سورة النساء ٤: ١٥٧). فالأخبار واردة بذلك إلا أن الروايات اختلفت. فتارة يروى أن الله تعالى ألقى شبهه على بعض الأعداء الذين دلوا اليهود على مكانه، حتى قتلوه وصلبوه. وتارة يروى أنه رغب بعض خواص أصحابه في أن يلقي شبهه عليه حتى يقتل مكانه. وبالجملة فكيفما كان في إلقاء شبهه على الغير إشكالات:

الإشكال الأول: إننا لو جوّزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر، لزم السفسطة. فإني إذا رأيت ولدي ثم رأيته ثانياً فحينئذ أجوز أن يكون هذا الذي رأيته ثانياً ليس بولدي بل هو إنسان ألقى شبهه عليه، وحينئذ يرتفع الإحساس عن المحسوسات. وأيضاً فالصحابة الذين رأوا محمد يأمرهم وينهاهم، وجب أن لا يعرفوا أنه محمد، لاحتمال أنه ألقى شبهه على غيره. وذلك يفضي على سقوط الشرائع. وأيضاً فحذار الأمر في الأخبار المتواترة على أن يكون المخبر الأول إنما أخبر عن المحسوس. فإذا جاز وقوع الغلط في المبصرات كان سقوط خبر المتواتر أولى. وبالجملة ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره إبطال النبوات بالكلية.

الإشكال الثاني: وهو أن الله تعالى كان قد أمر جبريل عليه السلام بأن يكون معه في أكثر الأحوال. هكذا قال معظم المفسرين في تفسير قوله: «إذ أيدتك بروح القدس». ثم أن طرف جناح واحد من أجنحة جبريل عليه السلام كان يكفي العالم من البشر، فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود عنه؟ وأيضاً أنه عليه السلام لما كان قادراً على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء وعلى أسقامهم وإلقاء الزمانة والفلج عليهم، حتى يصيروا عاجزين عن التعرض له؟

الإشكال الثالث: إنه تعالى كان قادراً على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء، فما الفائدة في إلقاء شبهه على غيره. وهل فيه إلا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة إليه؟

- «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ أَسْتَكْبِرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» (سورة البقرة ٢: ٨٧).
- «قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ الْيَتِيمَا إِلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْيَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (سورة آل عمران ٣: ١٨٣).

آراء مفسري القرآن

قال الإمام البيضاوي: «إن رهطاً من اليهود سبوا المسيح وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير. فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه. فقال المسيح لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شهية فيقتل ويصلب؟ فقام رجل منهم فقتل وصلب».

وقيل إن اليهود لما اعتقلوا عيسى أقاموا عليه حارساً. لكن عيسى رُفِعَ إلى السماء بأعجوبة، وألقى الله شبهه على الحارس. فأخذ وصلب، وهو يصرخ: أنا لست بعيسى.

وقيل: نافق أحد تابعي عيسى - يهوذا - وجاء مع اليهود فلما دخل معهم ليدهم عليه، ألقى الله شبه عيسى عليه، فأخذ وقتل وصلب (تفسير البيضاوي ٢: ١٢٧ - ١٢٨).

وجاء في كتاب جامع البيان للإمام أبو جعفر الطبري عدة روايات منها: قال وهب بن منبه: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين إلى بيت، فأحاط اليهود بهم. فلما دخلوا صور الله جميع من في البيت على صورة عيسى. فقال اليهود: لقد سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً. وكان عيسى قد سأل حواريه من منكم يشتري الجنة؟ فقال رجل منهم أنا، فقتل وصلب.

وروايات أخرى من هذا النوع، جاءت في تفاسير السنوي وابن كثير، والجلالان والزنجشري، لا يتسع المجال لذكرها كلها.

ولكن قبل إقفال البحث أرى لزاماً أن أختتم بشهادة الإمام فخر الدين الرازي الذي فُتد قصة الشبه تنفيذاً محكماً. ففي تفسيره لقول القرآن في الآية ٥٥ من سورة آل

ولما رأى «يسوع» الجموع صعد إلى الجبل وعلمهم، قائلاً: «طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات. طوبى للحرثان، لأنهم يتعززون. طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجوع والعطاش إلى البر، لأنهم يشبعون. طوبى للرحماء، لأنهم يرحمون. طوبى للأنبياء القلب، لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون. طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات. طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجل، كاذبين».

«لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمِلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ».

«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أحمقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ».

«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى أَمْرَةٍ لِيَشْتَهِيهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ».

«وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ أَمْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ أَمْرَأَتَهُ إِلَّا لِعِلَّةِ الزَّنى يَجْعَلُهَا زَنِيًّا، وَمَنْ يَنْزُوجُ مُطَلَّقةً فَإِنَّهُ يَزْنِي».

«أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَحْنُثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا أَلْبَتَّةَ، لَا بِالسَّمَاءِ لِأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللَّهِ، وَلَا بِالأَرْضِ لِأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأُورُشَلِيمَ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلَا تَحْلِفُ بِرَأْسِكَ، لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةَ وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لَا لَا. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشَّرِيرِ».

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَعِينٌ وَسِنٌَّ بَسِينٌ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوَمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّنْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُجَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَادْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ».

الإشكال الرابع: إنه إذا أُلقي شبهه على غيره ثم أنه رُفع بعد ذلك إلى السماء فالقوم اعتقدوا فيه أنه هو عيسى، مع أنه ما كان عيسى. فهذا إلقاء لهم في الجهل والتلبيس، وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى.

الإشكال الخامس: إن النصرى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغارها وشدة محبتهم للمسيح عليه السلام وغلوهم في أمره، أخبروا أنهم شاهدوه مقتولاً مصلوباً. فلو أنكرنا ذلك كان طعناً في ما ثبت بالتواتر. والظعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة محمد ونبوة عيسى بل في وجودهما ووجود سائر الأنبياء، وكل ذلك باطل.

الإشكال السادس: ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حياً زماناً طويلاً. فلو لم يكن ذلك عيسى بل كان غيره لأظهر الجزع وقال: إني لست بعيسى، بل إنما أنا غيره. ولبالغ في تعريف هذا المعنى. ولو ذكر ذلك لاشتهر عند الخلق هذا المعنى. فلما لم يوجد شيء من هذا، علمنا أن الأمر على غير ما ذكرتم (التفسير الكبير ١٢: ٩٩).

مثيرو الحرب

تقول في رسالتك «لم يسد الدمار العالم إلا بعد أن ظهر السلاح بيد مسيحيي الغرب». هذا الادعاء يرده التاريخ وترفضه الحقيقة، لأن تاريخ الحروب والدمار يعود إلى ما قبل المسيحية بألاف السنين وهذا أمر واضح لا يستطيع أحد إنكاره.

وقبل أن أبدي أي رأي في الموضوع، وجدت أن الأمر يستوجب بعض المقارنات بين نزعة كل من المسيحية والإسلام إلى الحرب وذلك في ما يأتي:

في المسيحية:

يخبرنا الإنجيل أن المسيح لما سمع بمقتل يوحنا المعمدان، انصرف إلى الجليل وترك الناصرة، وأتى وسكن في كفرناحوم. «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ... وَيَكْرُرُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي السَّعْبِ... فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ الْمَصَابِينِ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالْمَجَانِينِ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ» (متى ٤: ٢٣، ٢٤).

عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ» (سورة آل عمران ٣: ١٩٥).

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِن دِينِهِ وَأَنتُمْ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (سورة البقرة ٢: ٢١٧).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (سورة التوبة ٩: ١٢٣).

«وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَحَدُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» (سورة النساء ٤: ٨٩).

المسيحية والحروب

لعل السيد علوي اعتنق المسيحية الأصلية كما علمها المسيح ورسله الموحى إليهم. ويعيشها عدد عديد من الكنائس. لأن ليس كل من يحمل اسم المسيح هو مسيحي. وقد أشار المسيح نفسه إلى ذلك بقوله: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٧: ٢١).

وإنه لمن المؤسف أن يكون المسيحيون الإسميون هم الأكثرية في العالم.

وتمييزاً لهم عن المسيحيين الحقيقيين قال المسيح: «مِنْ ثَمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشُّوكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟» (متى ٧: ١٦). فهذا المقياس الذي وضعه المسيح يجب أن يُقاس عليه كل تعليم. وفي الواقع أن الناس لا يستدلون على حسن الشجرة بورقها، أو بزهرها بل بثمرها.

في حكمته وضع المسيح أهم شرعة عرفتها البشرية منذ نشأت، للتفاهم والتعايش السلمي، إذ قال: «فَكُلُّ مَا تَرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لِأَنَّ

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ» (متى ٥: ١ - ٧: ٢٨).

في الإسلام:

يخبرنا التاريخ أن عمر بن الخطاب هو واضع نظام الدولة الإسلامي. وفي وضعه النظام، تابع السير على نهج النظرية السياسية المتمثلة بالنقاط التالية:

أ - دين الدولة الإسلام. فقد قال ابن إسحاق: حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب الزهري. قال: أوصى رسول الله قبل موته أن لا يترك دينان في جزيرة العرب (سيرة النبي لابن هشام جزء ٣ صفحة ٨١٣).

ب - يبقى العرب في خارج جزيرة العرب من المجاهدين، أي جماعة دينية عسكرية.

ج - القرآن مليء بالآيات التي تجيز الحرب وتحرض على القتال منها:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» (سورة الأنفال ٨: ٦٥).

«قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» (سورة التوبة ٩: ٢٩).

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» (سورة البقرة ٢: ١٩٣).

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (سورة آل عمران ٣: ١٦٩).

«فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ

- غزوة ودان، وهي غزوة الابداء
- غزوة بواط من ناحية رضوى
- غزوة العشيرة من بطن ينبع
- غزوة بدر الكبرى، التي قُتل فيها صناديد قريش
- غزوة بني سليم، حتى بلغ الكدر
- غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب
- غزوة غطفان وهي غزوة أمر

- غزوة بني النضير
- غزوة الفرع من بحران
- غزوة أحد التي قُتل فيها صناديد المسلمين
- غزوة ذات الرقاع من نخل
- غزوة بدر الآخرة
- غزوة دومة الجندل
- غزوة الخندق

- غزوة بني قريظة
- غزوة بني لحيان
- غزوة ذي قرد
- غزوة بني المصطلق
- غزوة الحديبية
- غزوة خيبر

- غزوة عمرة القضاء
- غزوة الفتح
- غزوة حنين
- غزوة الطائف
- غزوة تبوك

ويذكر ابن هشام أن محمداً قاتل في تسع من هذه الغزوات: بدر، أحد، الخندق، قريظة، المصطلق، خيبر، الفتح، حنين، والطائف (السيرة النبوية لابن هشام الجزئين الثالث والرابع. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٦).

حروب الردة

بعد وفاة محمد، ارتد عن الإسلام بعض القبائل في جنوبي شبه جزيرة العرب وشرقيها. فاقترح بعض الصحابة على الخليفة أبي بكر أن يوجه جميع الجيوش إلى قتال المرتدين. ولكن الخليفة أصرّ على إرسال جيش أسامة بن زيد لفتح الشام، وقد قال أبو بكر في هذه المناسبة: «لا أحل لواء عقده رسول الله».

هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ (متى ٧: ١٢). وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِالْقَاعِدَةِ الذَّهَبِيَّةِ. وَيَقِينًا أَنَّهُ لَوْ تَعَامَلَ النَّاسُ بِمَوْجِبِهَا لَتَحَقَّقَ السَّلَامُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَتَمَّ قَوْلُ إِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ: «فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكِّكَاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لَا تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا وَلَا يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدَ» (إسعياء ٢: ٤).

قيل إن أحدهم جاء إلى الربوبي اليهودي شمعي يسأله أن يعلمه الناموس في أثناء وقوفه على رجل واحدة، فطرده من حضرته بقساوة. ولكن حين ذهب إلى الربوبي هليل يسأله السؤال عينه، أجابه: إنَّ الناموس هو أن لا تفعل بالآخرين ما لا تريد لهم أن يفعلوه بك. ولكن هذا التصريح جاء في صورة سلبية أما تعليم المسيح فجاء في صورة إيجابية.

أما بما يختص بالحروب الصليبية، التي شحنت نفسك بالغيط لتثيرها اتهامات بأن المسيحية هي المسؤولة عن إضرام تلك الحروب، فمردودة جملة وتفصيلاً، لأن مثيرها كانت غايتهم التوسع، وأكبر دليل على عدم مسيحتهم هو أنهم في ذهابهم إلى المشرق نهبوا الكنائس الأرثوذكسية.

الإسلام والحروب

يقول المؤرخون إن المسلمين ما أن استقر لهم المقام بالمدينة بعد أشهر قليلة من الهجرة حتى بدأ حناهم إلى مكة يتزايد. ويذهب أكثر المؤرخين إلى القول إنهم فكروا وفكر محمد على رأسهم في الانتقام من قريش لأنفسهم، وإنما منعهم من إشعال نار الحرب انشغالهم في إعداد مساكنهم وتنظيم وسائل معاشهم.

وتأيد هذا القول حين بدأوا بتشكيل كتائب عسكرية أطلقوا عليها اسم «سرايا». وأول سرية من هذا النوع نظمها محمد وأقام عليها عمه حمزة بن عبد المطلب وكان عدد أفرادها ثلاثين ركباً من المهاجرين أرسلوا إلى شاطئ البحر ناحية عيص، حيث لاقوا أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة ركب من قريش. وكان حمزة على أهبة مقاتلة قريش، إلى أن حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعاً بين الفريقين، فاستطاع أن يصرف القوم عن القتال.

روى ابن هشام عن زياد بن أيلة البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبى أنه قال: وكان جميع ما غزا رسول الله ما يزيد على سبع وعشرين غزوة منها:

ترسل بعثات ليس لجمع الكلمة بل لاغتيال غير المجندين لسياسة حكام بلدهم الأم.

أما ما يختص بإسلام الفيلبيين فالانتفاضة الإسلامية سياسية أكثر منها دينية.

أما عن غسل الدماغ فسنؤكد لك أنه ليس عند المسيحيين شيء من هذا، ولكن عندنا دم يسوع المسيح الذي يظهر من كل خطية.

أما عن التقليل من فضل الأخ علوي الذي اعتنق المسيحية بحسب الإنجيل، فاسمح لي بأن ألقت نظرك إلى قول الشاعر المشهور ابن الوردي:

لا يضر الفضل إقلال كما لا يضر الشمس إطباق الطفل

وبالمناسبة دعني أسوق إليك قول الرسول بولس: «فَانظُرُوا دَعَوَتَكُمْ أَهْبَا الْإِخْوَةَ، أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبِ الْجَسَدِ. لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ. لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ. بَلْ أَخْتَارَ اللَّهُ جُهَالِ الْعَالَمِ لِإِخْزِي الْحُكَمَاءَ، وَأَخْتَارَ اللَّهُ ضِعْفَاءَ الْعَالَمِ لِإِخْزِي الْأَقْوِيَاءَ، وَأَخْتَارَ اللَّهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَعَبِيرَ الْمَوْجِدِ لِيَبْطُلَ الْمَوْجِدُ، لِكَيْ لَا يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ» (١ كورنثوس ١: ٢٦ - ٢٩).

بقي أن أؤكد لك أن افتخارك بما سميتهم علماء وقد انضموا إلى الإسلام، فلا يشكلون أية خسارة للمسيحية، وقد أشار الرسول يوحنا إلى أمثال هؤلاء إذ قال: «مِنَّا خَرَجُوا، لِكَيْتَهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا» (١ يوحنا ٢: ١٩).

الخطية

مهما حاولت بإلقاء الضباب حول الخطية وعدم وجودها في الإسلام، فللخطية شأن وأهمية كبرى في القرآن.

فقد ورد في القرآن طائفة من الكلمات تعبر عن الخطية منها:

الذنب، كقوله: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» (سورة الفتح ٤٨: ١ - ٢).

ولكن الصحابة ألقوا جيشاً آخر بقيادة خالد بن الوليد. فقد استطاع بقيادته البارعة أن يعيد القبائل في جنوبي شبه جزيرة العرب وأواسطها وشرقيها، وفي اليمن ونجد واليمامة، إلى طاعة الإسلام. وقد لقب خالد يومئذ بسيف «الإسلام».

ثم أن روح الغزو في القبائل العربية التي جمعها الإسلام على الأخوة في الدين، وجب أن يجد وسائل حرب جديدة للتعبير عن نفسه. فقبل وفاة أبي بكر بعام، اتجهت جيوش الإسلام لتخوض حروب الفتوحات.

والآن أتركك مع التاريخ، لتجد أن الحروب رافقت الإسلام منذ فجره، وقد كانت الأداة في توسعه أرضاً وسكاناً.

اضطهاد الأقليات الإسلامية

جاء في صدر رسالتك: «كل أقلية مسلمة في بلاد مسيحية تُضطهد، وكل أقلية مسيحية تنال كل حقوقها». هذا حديث هراء يرده الواقع. ففي أميركا وأوروبا للأقلية الإسلامية كامل الحرية في إقامة شعائرها الدينية. ومنذ وقت قريب سمعت سلسلة من المحاضرات الدينية كانت تذاع من راديو صوت أميركا. وقد ذكر الشيخ المحاضر «ماهر حتوت» نشاطات المسلمين في المراكز الدينية لنشر تعاليم الإسلام في الأوساط المسيحية. الشيء الوحيد الذي لا يسمح به القانون الأميركي هو تعدد الزوجات...

وفي لبنان، قبل أن تحرقه الحرب الأهلية التي أشعلها العرب، سمعت محاضرة ألقاها الأستاذ الشيخ طه زبولي، قال فيها إن الجالية العربية في ألمانيا الاتحادية، إذ لم يكن لهم بيت للعبادة لممارسة الشعائر الدينية بمناسبة عيد الأضحى، وضع المسيحيون كنيسة تحت تصرف المسلمين بهذه المناسبة. وهذا العمل الكريم لا يمكن للمسلمين أن يفعلوه، بدليل امتناع دولة إسلامية عربية عن السماح لجالية مسيحية أن تبني كنيسة على أراضيها.

أما عن قولك إن المسلمين في بريطانيا هم أكثر عدداً من اليهود، ومع ذلك ليسوا ممثلين في البرلمان، فسبب ذلك يعود إلى تكتل اليهود وتجمعهم حول رأي واحد. أما العرب المسلمون فقد حملوا إلى المهاجر الاختلافات القائمة في وطنهم الأم. والأسوأ في الأمر أن بعض الدول الإسلامية

والكتاب المقدس يقر هذه الحقيقة إذ يقول بضم داود النبي: «هَذَا بِالْإِثْمِ صُوِّرَتْ وَبِالْحَطِيئَةِ حِيلَتْ بِي أُمِّي» (مزمور ٥١: ٥).

وقال الوحي بضم بولس رسول الجهاد العظيم: «لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللَّهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ» (رومية ٣: ١٠ - ١٢).

قال العالم الانجليزي هاكسلي: «لا أعلم أن هناك دراسة انتهت إلى نتيجة تعسة للنفس كدراسة تطور الإنسانية، فمن وراء ظلام التاريخ يتبين أن الإنسان خاضع لعنصر وضع فيه يسيطر عليه بقوة هائلة. إنه فريسة واهنة عمياء لدوافع تقوده إلى الخراب وضحية لأوهام لا نهائية، جعلت كيانه العقلي همًا ثقيلًا وأفنت جسده بالهموم والمتاعب. ومنذ آلاف السنين لا يزال هو هو، يقاتل ويضطهد، ويعود ليبيكي ضحاياه ويبني قبورهم».

وهل يحتاج أحد إلى هذه الشهادات الصارخة الآتية عبر التاريخ لكي يلمس هذه الحقيقة؟ ألا يكفي أن ينظر الإنسان إلى أعماق نفسه ويتحسس ميوله ونزواته، ليعلم أن ناموس الخطية ساكن فيه؟

أجل، إن وجود الخطية في حياة كل إنسان أمر لا يجمله أحد، لأن فساد الطبيعة البشرية ظاهر للحس في عجز الإنسان عن حفظ الشريعة الأدبية من تلقاء نفسه، حتى في توبته الذاتية فهذه عرضة للانتكاس إن كانت لا تلقى معونة الله بالروح القدس.

ألق نظرة عابرة على تاريخ الخطية عبر الأجيال لكي تجد الدليل الحاسم على وجود نزعة الشر في الإنسان. وأول ما ظهرت هذه النزعة في الجريمة الأولى التي اقترفها قايين ابن آدم حين قتل أخاه هابيل.

- لقد حَزَّ في نفسي أسف شديد وأنا أقرأ كلامك المشوب بالتهمك على الخطية والكفارة، اللذين يعلم الإنجيل بهما. إذ تقول: «إن ملخص ما يعتقده النصارى هو خرافة الخطية والصلب للتكفير». وكان الأحرى بك أن تسأل المسيحيين لشرح هذه الموضوع، ووفقاً للوصية القرآنية إلى محمد القائل: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (سورة النحل ١٦: ٤٣). وقد قال الجلالان في تفسير الآية: إن أهل الذكر هم

الوزر، كقوله: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ» (سورة الشرح ٩٤: ١ - ٣).

الضلال، كقوله: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى» (سورة الضحى ٩٣: ٥ - ٨).

الظلم، كقوله: «وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (سورة الشعراء ٢٦: ١٠).

الإثم، كقوله: «وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ» (سورة الأنعام ٦: ١٢٠).

الخطيئة، كقوله: «وَمَنْ يَكْسِبْ حَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا» (سورة النساء ٤: ١١٢).

بعد هذا دعني أفف عند قولك: «وأول ما يتبادر إلى الذهن أن القول عن الخطيئة والتمسك بضرورة الفداء من أجلها، أن ذلك نابع عن الكسل الوثني».

إن هذه العبارات إذا بُحِثت في ضوء كلام الوحي، تبين أنها صادرة عن إنسان يريد ذر الغبار في العين لكي لا تبصر الحقيقة. فقد جاء في رسالة رومية ٥: ١٢: «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْحَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا أَجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ».

ويقول بعض الفلاسفة إن الإنسان يولد طاهراً وإنما إذا عاش في بيئة فاسدة تأثر بها، لأن الإنسان فيه مجموعة من الغرائز، التي وإن كانت لها غايات شريفة، فهي تحمل نزوات شريرة.

الخطية إرث

نفهم من الاختبارات أنه لا يمكن للكائن الحي أن يلد كائناً مغايراً له. فالثور لا يمكن أن يلد حملاً. وكما قال المسيح «لا يجنون من الشوك عنباً». وهذا القانون ينطبق على الإنسان، فآدم الذي توالد منه البشر عصى الله، فطرده من فردوس الطهر إلى أرض لعنت بسبب خطيته. وعلى هذه الأرض أنجب نسلًا نظيره. وكان هذا النسل بالطبيعة مطروداً فاقداً ميراثه بالفردوس.

يتعدى هذا الفاصل. وقد جعل هذا بأسلوب رمزي في ثمر الشجرة الممتنعة على آدم.

وظهرت سهولة الامتحان في التجربة التي جاءت من الشيطان. فهذا الماكر، تقدم من حواء في صورة ناصح تهمه مصلحة الأبوين الأولين، وقد بادرها بسؤال بسيط في ظاهره، ولكنه مبطن بالخداع قال: «أحقاً قال الله لا تأكلوا من كل شجرة الجنة؟» (تكوين ٣: ١). كان الاستفهام هنا للتعجب والانكار معاً، كأن الشرير يقول أعجب كل العجب، أن يكون الله قد قال ذلك.

أخذت حواء بالكلام الماكر الذي صاغه الشيطان، فغشاها من ضباب الشك في صلاح وصية الله.

- من ثمر شجرة الجنة ناكل، قالت المرأة. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلوا منه ولا تمسها لئلا تموتا.

- «لن تموتا! (قال الشرير) بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» (تكوين ٣: ٤ و٥).

كان لكلام عدو الخير لون المنطق المقنع بأن الله لأجل منعها ورفيقها من مساواته في المعرفة، قيدهما بتحذير يبدو أنه غير صادق.

فاجتاح الشك قلب المرأة، ولم تلبث أن استجابت لغواية الشرير. وللمرة الأولى رأت حواء «أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل» (تكوين ٣: ٦ - ٧).

وهكذا سقط الأبوان الأولان. سقطت المرأة لأنها شكّت في أمانة الله وصلاح وصيته. لقد ارتأت فوق ما ينبغي أن ترتئي، طمعت في أن تماثل الله في المعرفة وأشركت رجلها معها، فنقض عهده مع الله وتعدى حدوده «والخطية هي التعدي» (١ يوحنا ٣: ٤).

ولما كانت أجرة الخطية هي موت (رومية ٦: ٢٣) وقع آدم وحواء تحت القصاص، وفقاً للإنذار الإلهي «يوم تأكل منها موتاً تموت». ومعنى الموت هنا ليس انحلال الجسد في القبر، بل هو موت النفس بخلودها في العذاب الأبدي.

العلماء بالتوراة والإنجيل . . . إلى أن يقول: «أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفروا بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» (سورة الأنعام ٦: ٨٩ - ٩٠).

إن موضوع الخطية والكفارة بالفداء موضوع خطير جداً وقبل الخوض في دقائقه، لا مندوحة لي من التمهيد بذكر الأحداث المهمة، التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس، منذ خلق الإنسان الأول. والتي عملت في تحريك محبة الله لأجل خلاص العالم.

أولاً: السقوط

يُعَلِّمُ الكتاب العزيز أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه، وعاهده عهد الحياة، على شرط الطاعة الكاملة لوصاياه. يقول الكتاب المقدس: «فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمْ... وَأَخَذَ الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنِ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. وَأَوْصَى الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ قَائِلًا: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ١: ٢٧ - ٢٨، ٢: ١٥ - ١٧).

وعاش آدم رداً من الزمن في فردوس عدن بحالة من الطهر متمتعاً بشركة روحية مع الرب الإله. وهذه الشركة كانت تفعم قلب آدم بالسعادة.

كان آدم بسيطاً، وفي البساطة قرب من قلب الله. وكان كاملاً، وفي الكمال مسحة من روح الله.

وكان مؤمناً صديقاً، والإيمان هو اليد التي تتناول بركات الله.

وكان باراً، وفي البر قبس من نور الله.

ومع كل الامتيازات الروحية، التي كانت لآدم فقد سمح الله بأن يمتحن أبو البشرية. وكان هدف الامتحان: هل يحفظ آدم مكانه من الطاعة الولاء لله، الذي وهبه كل هذه الجمالات؟

وفي كلمة أخرى، كان قصد الله من امتحان أبي البشر أن يتعلم بأن هناك فاصلاً بين الحلال والحرام. وإنه لإثم أن

ونرى هنا أول عواقب الخطية: الخجل، وثانيها الخوف وثالثها الحكم. إذ يخبرنا الكتاب المقدس: «وَصَنَعَ الرَّبُّ إِلَهُ لَادَمَ وَأَمْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ» (تكوين ٣: ٢١). وهذا يدل على أن حيوانات قد ذبحت في الفردوس. ولم يتحقق أن الإنسان كان يتخذ لحوم البهائم طعاماً. ولم يكن طعامه في أثناء إقامته في الفردوس إلا البقول والأثمار وغيرها من الأطعمة النباتية. وقد ذكر الكتاب الموحى به من الله هذه الحقيقة إذ قال: «وَقَالَ اللَّهُ: إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلِ يَبْزُرُ بَزْراً عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرٌ شَجَرٍ يُبْزَرُ بَزْراً لَكُمْ يَكُونُ طَعَاماً» (تكوين ١: ٢٩).

فتلك الجلود بحسب ثقافات المفسرين، كانت من جلود البهائم التي كان آدم يقدمها في قرابينه.

ويخبرنا الكتاب المقدس أن الله أخرج آدم وامرأته من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم وهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة.

وخلاصة تعليم الكتاب المقدس أن الاتحاد النيابي بين آدم ونسله هو علة ما حلّ عليهم من الصعوبات التي حلت عليه.

أعود إلى القول إن آدم كان نائباً عن نسله، وإن الوعود التي أعطها الله له كانت كذلك لنسله، وعندما صدر حكم الله عليه بالطرد من جنة عدن لحق ذلك الطرد نسله أيضاً، إذ ولدوا على الأرض التي لعنت بسببه وسلط الموت عليهم كما تسلط عليه. وكذلك أوجاع الولادة التي كتبت على حواء قصاصاً كتبت على كل بنت من بناتها. وقد أدرك الفيلسوف أبو العلاء المعري هذه الحقائق فقال:

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد منذ ما يقرب من الألفي سنة ارتفعت هذه الصرخة الداوية من فم الرسول يولس: «وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِي مُبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيئَةِ. لِأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُغْضِيهِ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ... الْإِرَادَةُ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لِأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ، فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا، بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ... فَإِنِّي أَسْرُّ بِنَامُوسِ اللَّهِ بِحَسَبِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي

وإذ سقط آدم أوقع نفسه تحت طائلة الحكم الذي لفظه الله، إذ قال: «مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَسَوْكاً وَحَسَكاً تَنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بَعْرَقَ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خَبِزاً حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا» (تكوين ٣: ١٧ - ١٩).

وبعد هذا الحكم طرده الرب الإله من جنة عدن مع امرأته، فهاما على وجهيهما يضربان في الأرض، وعلى الأرض أنجبا نسلًا، وبالطبع كان نسلهما مطروداً من الفردوس... جاء في الرسالة إلى رومية ٥: ١٢: «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا أَجْتَاَزَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ».

يقول بعض الفلاسفة إن الإنسان يولد طاهراً، وإنما إذا عاش في بيئة فاسدة، تأثر بها وتسربت الخطية إليه. صحيح أن البيئة الفاسدة تساعد على نمو الخطية، ولكن الإنسان يولد وفيه مجموعة من الغرائز ومن بينها الانجذاب إلى صنع الشر.

ونفهم من التعليم الإلهي أن الله لم يقطع عهد الحياة مع آدم من أجل نفسه فقط، بل أيضاً من أجل نسله. ومن هنا كان آدم نائباً عن الجنس البشري كله، بدليل قول الكتاب: «لَأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيَحْيَا الْجَمِيعُ» (١ كورنثوس ١٥: ٢٢).

«فَإِذَا كَمَا بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هَكَذَا بِرَّ وَاحِدٍ صَارَتْ أَهْبَةٌ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لِأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاءً، هَكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً» (رومية ٥: ١٨ و ١٩).

- جواباً على تساؤلِكَ: «ماذا تم في شأن الذين سبقوا المسيح من البشر، ومنهم رسل وأنبياء كرام على الله، لم يقبلوا ابن الله على عزم ضرورة قبوله. وهم كذلك لا يعترفون بالصليب؟».

إن الجواب يلزمنا العودة إلى ما قبل طرد آدم حيث جاء في سفر التكوين ٣: ٧ و ٨ «أما آدم وحواء لما أكلا من الثمر المنهي عنه «أُنْفِثَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لِنَفْسَيْهِمَا مَازَرَ. وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهُهُمَا مَاشِياً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ الْبَهَارِ، فَخَتَبَا آدَمَ وَأَمْرَأَتَهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلَهُ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ».

ونقرأ في الكتاب العزيز أنه حين نشفت مياه الطوفان خرج نوح ومن معه من الفلك. وأول عمل قام به هو بناء مذبح للرب وأصعد محرقات من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا (تكوين ٨: ٢٠ - ٢١).

وكذلك الكبش الذي أعطاه الله لإبراهيم ليصعده محرقة عوضاً عن ابنه (تكوين ٢٢: ١٣) لم يكن إلا رمزاً للفداء العظيم الذي أعده الله بذبيحة المسيح العتيدة.

وأيضاً خروف الفصح الذي أمر الله شعب إسرائيل بذبحه ورش دمه على أعتاب البيوت العليا وقوائمها، لم يكن إلا رمزاً بارزاً لفصح العهد الجديد، الذي ذبح فيه حمل الله بدليل قول الرسول بولس: «لأنّ فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا. إذاً لنُعبد، ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشّرِّ والحُبث، بل بفطير الإخلاص والحق» (١ كورنثوس ٥: ٧ - ٨).

اختبارات شعب

لمس رجال الله في العهد القديم ضعف الإنسان وعدم كفاءة ناموس الفرائض لتطهير الخاطئ وتهدئة ضميره. وقد جاء في سفر العبرانيين أن القرايين والذبايح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الإنسان (عبرانيين ٩: ٩). وفي كلمة أخرى أن الشريعة اللاوية في ما يتعلق بالذبايح لم تكن أكثر من ظل يشير لبركات العهد الجديد.

وقبلاً ارتفع صوت داود النبي إلى الله قائلاً: «لأنّك لا تُسرُّ بذبيحةٍ وإلاّ فكنتُ أقدمها. بمحرقةٍ لا ترضى» (مزبور ٥١: ١٦).

وجاء في إشعياء قول الله: «لماذا لي كثرة ذبايحكم؟ يقول الربُّ أتخمت من محرقات كباشٍ وشحمٍ مسمناتٍ، وبدمٍ عجولٍ وخرفانٍ وثيوسٍ ما أسرُّ. حينما تأتون لتطهروا أمامي، من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دياري؟ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهه لي» (إشعياء ١: ١١ - ١٣).

وقال في عاموس النبي: «بغضت، كرهت أعيادكم، ولست ألتد باعكفاتكم. إنني إذا قدّمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبايح السّلامه من مسمناتكم لا ألتفت إليها. أبعد عني ضجة أعانيك، ونعمة ربّك لا

أعضائي يجارب ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائين في أعضائي» (رومية ٧: ١٤ - ٢٣).

أجرة الخطية

يقول الكتاب الإلهي: «لأنّ أجرة الخطية هي موت» (رومية ٦: ٢٣) «يوم تأكل منها موتاً تموت» (تكوين ٢: ١٧). وقد مات آدم وحواء الموت الروحي. وفقدوا الشركة الروحية الجميلة المقدسة مع خالقهما المحب ولم يعد لهما ذلك الشوق المقدس إلى المثول في حضرته. وما أربّه ذلك الحكم القائل: «يوم تأكل منها موتاً تموت» (تكوين ٢: ١٧). وحينما تذكر آدم ذلك الحكم اختبأ مع امرأته عن وجه الله، بسبب خطيته. هكذا قال الله في سفر إشعياء النبي: «اثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع» (إشعياء ٥٩: ٢).

يعلمنا الكتاب أن الله كامل في صفاته، ومن كمالاته العدل والصدق. وبما أن عدله وصدقه فعّالان، حكم على تعدي الإنسان بالموت عقاباً. بيد أنه كما أن الله عدلاً وصدقاً فعّالان، فله أيضاً محبة فعّالة. محبة عجيبة، لا تعرف الحدود في الصفح والغفران، عبّر عنها بقوله: «محبة أبدية أحببتك، من أجل ذلك أدمت لك الرحمة» (إرميا ٣١: ٣). فهذه المحبة المتفاضلة جداً تدخلت لصالح الإنسان، إذ قال تعالى اسمه: «حيّ أنا يقول السيد الربُّ، إنني لا أسرُّ بموت الشّرير، بل بأن يرجع الشّرير عن طريقه ويحيى» (حزقيال ٣٣: ١١).

قال المحامي الذائع الصيت سير برنتس في ختام دفاعه عن أحد المتهمين: «قرأت في كتاب ما أن الله في مشورته الأزلية سأل العدالة والحق والمحبة، هل أخلق الإنسان؟ فأجابت العدالة: كلا، لأنه سيدوس جميع شرائعك وسننك ونظملك. وقال الحق: لا تصنعه، لأنه سيكون قبيحاً وسيسعى وراء الباطل، متكلماً بالكذب. حينئذ قالت المحبة، أنا أعلم أنه سيكون هكذا. ولكني رغم شر الإنسان وفساده سأتولى أمره وسأسير به خلال الطريق المظلمة إلى أن أتي به إليك».

لقد قلت سابقاً أن عهد الذبايح الكفارية رسم منذ أن كان الإنسان، وهي كلها ترمز إلى حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يوحنا ١: ٢٩). نتعلم من أسفار الوحي أن ذبيحة الدم التي قدمها هايل، لم تكن إلا ظلاً للفداء وعملاً يتفق مع فكر الله، بل إنها من وحيه وإلهامه.

أَسْمَعُ . وَلِيَجْرِ الْحَقُّ كَأَلْيَاهِ وَأَلْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ» (عاموس ٥ : ٢١ - ٢٤).

٢ - خرافة البعل . جاء في عدد من المعاجم التي قرأتها أن البعل إله كنعاني وهو زوج الإله بعلة، أو عسيرة أو عشتاروت . وكان إله المزارع ورب الخصب في الحقول وفي الحيوانات . وقد أولع أهل المشرق جداً بعبادة البعل حتى أنهم كانوا يضحون الذبائح البشرية على مذابحه . وكانوا يختارون الأماكن المرتفعة كالجبال والتلال ذات المناظر الجميلة فيبنون عليها الأبنية الفاخرة المزخرفة ويكرسونها لهذا الصنم العظيم عندهم .

ويخبرنا الكتاب المقدس أن البعل صار معثرة لبني إسرائيل فكسروا وصايا الله بإدخالهم البعل بواسطة إيزابيل امرأة أخاب الملك (١ ملوك ١٨ : ١٧ - ٤٠) .

وبالاختصار أقول إن عبادة البعل كانت عمومية بين أهالي المشرق في ذلك الزمن، ولذلك ترى له أسماء عديدة، لأن كل أمة كانت تسميه باسم يُعرف به عند قومها . وكان كل اسم من أسمائه يبتدئ غالباً بكلمة بعل، وينتهي باسم ذلك البلد أو المدينة الموجودة هو فيها، أو بشيء يُنسب إليه نحوه .

- بعلزيبوب، أي إله الذبان، وهو إله عقرون .

- بعل فغور وقد عرف في لبنان باسم إله الشمس وقد بنيت له في مدينة بعلبك عدة هياكل أكبرها وأفخمها هيكل الشمس الذي بناه اليونانيون وكان يُعد من عجائب الدنيا السبع .

- بعل تامار، أي إله النخيل أو التمر . ولعل هذا الصنم المصنوع من تمر النخيل كان معبود قبيلة عربية اسمها حذيفة، وفي أحد السنين لم تعط أشجار النخيل عندهم ثماراً ولما عضهم الجوع أكلوا الصنم، فقال فيهم أحد الشعراء :

أكلت حذيفة رهبا
لم يجذروا من رهم

زمن التقشف والمجاعة
سوء العقوبة والتباعة

- بعل جاد، أي معسكر البعل

- بعل حاصور، أي بعل الساعة

- بعل حرمون، أي بعل جبل حرمون

- بعلزبول، اسم كنعاني وهو إله الأقدار

وخلاصة القول إننا حين نلقي نظرة متفحصة على تاريخ شعب إسرائيل، نجد أنهم كانوا بقيادة موسى ويشوع بن نون يرجعون إلى الله على أساس الذبيحة . وحين تصل إلى عهد الملوك، نجد أن الذبائح تشغل مركزها الممتاز . فهناك ترى ذبيحة المحرقة تقدم باستمرار، بحيث لا تطفأ نارها أبداً، وخصوصاً في عهد سليمان، حيث كانت تقدم ربوات القرابين، بحيث يمكننا القول إن تاريخ إسرائيل في طريق الطاعة قرابين وذبائح . ومع ذلك ما أشد النبرة التي وردت في سفر العبرانيين عن الفادي إذ قال: «ذبيحة وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً . بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر . ثم قلت: هئنداً أجيء . في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله . . . ينزع الأول لكي يثبت الثاني» (عبرانيين ١٠ : ٥ - ٩) .

فالروح القدس يؤكد لنا صراحة أن الله ما كان ممكناً أن يكفر عن الخطي بمجرد تقديمه ذبيحة حيوانية لو لم تكن هذه رمزاً إلى ذبيحة .

«هئنداً أجيء لأفعل مشيئتك يا الله» قال الكلمة المتجسد، أي أنه لما توقف الرب عن الرضا بالذبائح الحيوانية لأن قداسته تتطلب ذبيحة أفضل وإفاء أعظم عن الخطية، حينئذ تقدم يسوع بذبيحة نفسه للتكفير عن خطايا الجنس البشري فصار القول: «فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عبرانيين ١٠ : ١٠) .

والآن دعني أقف عند عدد من كلماتك التي تزعم أن في العقائد المسيحية كثيراً من التعاليم التي مصدرها وثني:

١ - ديانة ميتراس الفارسية . وحسب زعمك: أن هذه الديانة جاءت إلى روما سنة ٧٠ قبل الميلاد . وملخص هذه الديانة أن ميتراس كان وسيطاً بين الله والبشر .

ولكن يا سيد هل فاتك أن تعلم أن كل الديانات الوثنية تعتقد بأن معبوداتها تقربها إلى الله . وإن كان الأمر هكذا، فأسألك أن تقرأ من القرآن الآية الثالثة من سورة الزمر حين يقول: «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (سورة الزمر ٣٩ : ٣) .

نبات البشنيين ويدور الفيل حول الفراش ثلاث دورات. ثم يمس جانب الملكة الأيمن ويدخل في رحمها...

لم تكذ الملكة تنتهي من قصة الحلم حتى أرسل الملك يدعو أربعة وستين حكيماً من حكماء بلاده - فجاء هؤلاء الحكماء إلى قصر الملك واستمعوا إلى قصة حلم الملكة. فقالوا للملك: لا يشغلن شيء بالك أيها الملك، ولكن أشر فالملكة حملت بغلام، سيصبح ملكاً على كل البلاد، لو هو استقر في قصره. وإن هو غادر داره هائماً على وجهه، فعندئذ سيصبح هو بوذا كاشف نقاب الجهل عن وجه العالم.

وبعد أيام قصيرة تحقق ما قاله الحكماء، وأحست الملكة بحقيقة الحمل. وكان هناك شيء عجيب، فقد كان الجنين يبدو واضحاً وهو جالس القرفصاء في رحم أمه. وظل على هذه الصورة حتى اقترب موعد الوضع، فطلبت الملكة مايانا من الملك أن تسافر إلى أهلها لتضع مولودها هناك. وإذا هي في الطريق شعرت بالمخاض وهي تحت شجرة سال، في بستان توبيني.

وتحت الشجرة الوارفة الظلال جلست القرفصاء بعد أن حجبها الخدام عن الأنظار بستر خاص. ولما أرادت النهوض مدت يدها إلى غصن الشجرة فانحنى من تلقائه حتى قارب كفها.

ولم تكذ تنهض حتى كان تحتها طفل تلقفته أيدي أربعة من البراهمة في شبكة خيوطها من أسلاك الذهب.

ووقف المولود فجأة، وتقدم إلى الأمام سبع خطوات ثم صاح في صوت عذب: أنا سيد هذا العالم، وهذه الحياة هي آخر حياة لي.

وانطلقت أبناء مولد الأمير العظيم لتعم كل مملكة الساكية. ومن كل مكان جاءت الأفواج لتهنئة الملك.

حياة مترفة

عاش الأمير حياة مترفة في قرب أبيه، وقد وصفها هو نفسه، حين قال في أحد كتبه:

لقد كنت مترفاً كل الترف، لقد حضرت في قصر أبي البرك المغطاة بالبشنيين، غطيت واحدة بالبشنيين الأزرق،

- بعل بریت، اسم كنعاني وهو إله الأقدار

- بعل شليشة، ومعناه بعل الثلث

- بعل صفون، ومعناه بعل الشمال.

- بعل مراحييم، ومعناه بعل الانفجارات

- بعل فخور، ومعناه إله العمونيين.

- بعل هامون، ومعناه إله الجمهور

والآن نطلب إليك وإلى الإمام أبي زهرة، وأحمد شلبي، أن تفيدونا أياً من هؤلاء المعلمين ترشحون لمريديكم إن حياتهم أغرت المسيحية بتطبيقها على حياة يسوع.

نحن نتمسك بيسوع التاريخ الذي شهد له القرآن.

بوذا والمسيح

- جاء في مزاعمك: «ثم هناك مقارنة بين بوذا والمسيح في اثنين وعشرين موضوعاً.. من ناحية المولد والأحداث المختلفة ولولا خوف الإطالة لنقلنا الكثير».

وأنا لم يكن في وسعي المرور بهذه الإشارة دون إجراء بعض المقارنات بين الرجلين في المرحلة الأولى من حياتهما:

بوذا وبشارته

جاء في كتاب بوذا الأكبر، ما ترجمته: كانت الملكة مايانا ترتعش وهي تحكي لزوجها الملك سودهوادانا قصة الحلم الغريب، الذي رآته في ليلة من ليالي صيف ٥٦٨ قبل الميلاد. فقيما هي مستلقية على الفراش إذا بأربعة من الملائكة بثياب بيض يتقدمون منها، ويحملونها بكل محتويات حجرة نومها ويطيرون بها إلى أعلى قمة في جبال الهمالايا، حيث تقوم شجرة باسقة ويضعونها تحت ظلها - ولا تكاد الملكة تطل حولها، حتى تقترب منها أربع ملكات يدخلنها الحمام ويلبسنها ثياباً جميلة ويدهنها بعطور رائحة الرائحة. ثم يحملنها إلى منزل آخر مصنوع كله من الفضة. وتضعها الملكات على فراش آخر مقدس - وهناك بهيط فيل أبيض من فوق جبل ذهبي ويتقدم منها وفي خرطوم غصن من

وَتَدْعُوَ اسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ. وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِاللَّبِّيِّ: هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّا نُؤْيِلُ (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا)» (متى ١: ١٨ - ٢٣).

«وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْتُسَ قَيْصَرَ بَأْنَ يُكْتَتَبُ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهَذَا الْأَكْتِتَابُ الْأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينْيُوسُ وَالِي سُورِيَّةَ. فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنْ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تَدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكُونِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتْ ابْنًا الْبِكْرَ وَقَمَطَتْهُ وَأَضَجَعَتْهُ فِي الْمِدْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رِعَاةٌ مَتَبِّدِينَ يَحْرَسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رِعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلَكَ الرَّبُّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجَّدَ الرَّبُّ أَضَاءَ حَوْلِهِمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: لَا تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لَجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِدْوَدٍ. وَظَهَرَ بَعْتُهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ جَهَّورًا مِنْ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرُورَةِ. وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرَّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرَ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ الرَّبُّ. فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِدْوَدِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا اللَّصْبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا بِمَا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرَّعَاةِ. وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَّفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا. ثُمَّ رَجَعَ الرَّعَاةُ وَهُمْ يَمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيَسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ».

« وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ لِيَخْتَنُوا اللَّصْبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَبْلَ أَنْ حَبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَقْدِمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنْ كُلُّ ذَكَرٍ فَاتِحٍ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُوسًا لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ، زَوْجٌ يَمَامٍ أَوْ فَرَخِي حَمَامٍ» (لوقا ٢: ١ - ٢٤).

يتبين لنا مما تقدم أن قولك عن وجود توافق بين ما يقوله البوذيون وما يزعمه المسيحيون من ناحية المولد، قول لا يمت إلى الحقيقة بأية صلة. وإن كلمة «يزعمه

والثانية بالبشنيين الأحمر، والثالثة بالبشنيين الأبيض. وكلها حفرت لمنعتي وإسعادي.

وقد كان لي ثلاثة قصور واحد منها لفصل الشتاء، والثاني لفصل الصيف، والثالث للفصل المطير. وكنت أقضي في القصر المخصص للفصل المطير أربعة أشهر، تحف بي فيها القيان والجواري، فلا أغادره حتى تأتي أشهر الصيف.

قرر الأب الملك أن يشغل ابنه بحياة زوجية رائعة ويحيطه بمئات الحسان. ووقع اختيار الأمير على الأميرة يوسودهار ابنة عمه ملك كولي لتكون زوجته وهي فتاة رائعة الحسن بالغة الجمال.

وخلال حقبة من الزمن عاش الأمير وزوجته حياة سعيدة.

المسيح وبشارته

«وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ اللَّهِ إِلَى مَدِينَةِ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمَهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءٍ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَأَسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ وَقَالَ: سَلَامٌ لَكَ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ أَضْطَرَبَتْ مِنْ كَلَامِهِ، وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! فَقَالَ لَهَا الْمَلَائِكَةُ: لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمَ، لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَأَبْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمَلِكِهِ نِهَائَةٌ. فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلَائِكَةِ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟ فَأَجَابَ الْمَلَائِكَةُ: الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَطَّلِكُ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ. وَهُوَذَا أَلْيَصَابَاتُ نَسَبِيَّتِكَ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِأَبْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهَذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُورَةِ عَاقِرًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرٌ مُمَكِّنٌ لَدَى اللَّهِ. فَقَالَتْ مَرْيَمَ: هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» (لوقا ١: ٢٦ - ٣٨).

«لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وَجَدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَيُوسُفُ رَجُلًا إِذْ كَانَ بَارًا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهَرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَّفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، إِذَا مَلَكَ الرَّبُّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: يَا يُوسُفُ ابْنُ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ، لِأَنَّ الَّذِي حَبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْنًا

أَوْكَارَ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنَدُ رَأْسَهُ» (لوقا ٩: ٥٧ و٥٨).

- الرد على قولك إن قول النصارى «عيسى ابن الله» كفر صريح:

نظرة الإسلام إلى هذا الموضوع:

جاء في القرآن: «بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (سورة الأنعام ٦: ١٠١).

وقد علق البيضاوي على هذه الآية بقوله: إن المعقول من الولد هو ما تولد من ذكر وأنثى، متجانسين، والله تعالى منزه عن التجانس.

هذه هي نظرية الإسلام في استحالة الولد إلى الله فإنه لا صاحبة له، ولا يمكن أن تكون له صاحبة. وهذا هو سر استنكار أبوة الله للمسيح. لأنه لا بنوة في الفكر القرآني إلا البنوة التناسلية الجسدية.

ويؤيد هذا الفكر ما جاء في كتاب جامع البيان للإمام الطبري. إذ يقول: عن ابن وهب، عن أبي زيد أنه قال: الولد إنما يكون من الذكر والأنثى ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة، فيكون له ولد. وذلك لأنه هو الذي خلق كل شيء. فإن كان لا شيء إلا الله خلقه، فأنى يكون له ولد؟

ويرجح تقات الباحثين أن الآية نزلت في حق بعض أهل البدع من أصل وثني كانوا قد التصقوا بالكنيسة.

وقد كانت لهم محاولات ليدخلوا بدعة مفادها أن مريم العذراء إلهة. وهدفهم أن يستعوضوا بها عن الزهرة التي كانوا يعبدونها، وقد أشار إليهم العلامة الكبير أحمد المقرئ في كتابه «القول الإبريزي» (صفحة ٢٦). وذكرهم ابن حزم في كتابه «الملل والأهواء والنحل» (صفحة ٤٨). ومن البدهي أن يشجب القرآن بدعة كهذه، لأنها بعيدة كل البعد عن المسيحية.

لا بد لمطالع القرآن أن يلاحظ أن كتاب المسلمين يشير إشارات مهمة وجلية إلى عظمة المسيح وتفوقه على سائر الأنبياء. ولكنه يقصر عن إزاحة الستار عن كماله المجيد وجلاله البهي. وكأني بالقرآن يأتي بالباحث عن حقيقة

المسيحيون» التي يجترها قلمك في رأس كل موضوع تدل على أنك تعتم على قداسة المسيح، خلافاً لإعلانات القرآن عن أجماد يسوع «كإقامة الأموات وإبراء الأكمه والأبرص والوجهة والقرب من الله...».

أ - البشارة: فأم بوذا ملكة نقلها أربعة من الملائكة إلى جبال الهمالايا حيث جاء فيل أبيض وأدخل.. في رحمها فحبلت ببوذا.

أما أم يسوع العذراء الفقيرة فقد جاء ملاك الرب نفسه ويشرها بأنها ستحبل من الروح القدس وتلد ابناً وتسميه يسوع.

ب - إن أم بوذا الملكة حين وضعت طفلها كان حولها عشرات من الخدم الذين أقاموا حولها ستاراً، وحين نهضت تلقفت طفلها أيدي أربعة من البراهمة في شبكة نسجت بأسلاك من ذهب.

أما أم يسوع العذراء، إذ لم يكن لها مكان في الفندق بيت لحم وضعت وليدها في كهف يستعمل مربطاً للماشية دون مساعدة قابلة، وقمطته وأضجعتة في المدود.

ج - لما ولد بوذا جاءت أفواج من العظماء لتقديم التهاني.

أما يسوع فلما ولد كان أهل الأرض نياماً ما عدا نفر من الرعاة الذين إذ سمعوا من ملاك الرب خبر ولادة مخلص العالم الحقيقي جاءوا وشاهدوه في المدود.

د - إن والد بوذا، الملك أمر بأن يقدم المزيد من القرابين للآلهة.

أما يسوع فحين أضعده إلى الهيكل قدمت أمه فرخي حمام، كما هو منصوص في ناموس موسى عن قرابين الفقراء.

لقد عاش بوذا في القصور المنيفة بين القيان ومئات الجوارى الحسان.

أما يسوع فعاش حياة الفاقة كعامل نجار. ولما بدأ خدمته سأله أحد الكتبة وقال له: «يَا سَيِّدُ، أَتَبْعُكَ أَيُّمًا تَمْضِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِلتَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ

الحلبي) وإنه لأمر يحار فيه العقل أن ينسب الإسلام إلى محمد ما لم ينسبه محمد لنفسه من حيث الأزلية ثم ينكرها على يسوع المسيح المثبت له ببراہين لا تُعد.

قال الدكتور زويمر في كتابه «المسيح كما يراه المسلمون»: «لو قرأت مؤلفات مسلمي مصر والهند وكل العالم الإسلامي لا تجد غرضاً يوجهون إليه نبال انتقاداتهم وسهام اعتراضاتهم إلا لاهوت المسيح وعمله الكفاري لأجل البشر. فقيماً يعتقد المسيحي أن يسوع إله وإنسان معاً. وهو نبي وكاهن وملك، يقول المسلم إنه إنسان فقط. ويعترف له بالنبوة لا غير. أما الملكوت والكهنوت فأمران غير مفهومين ولا مقبولين، لأن الإسلام ديانة بدون كهنوت وبدون فكر صحيح عن الكفارة، ولذلك غاب فكر المسلم عن هذا الفكر الأساسي في عمل المسيح».

وقد أشار الدكتور سايوس إلى عدم وجود هذا الفكر عند محمد نفسه بقوله: «وخلاصة القول إن محمداً لم يشعر بخطية ما، ولذلك لم يشعر بحاجته إلى طريق الفداء، وبالتالي فإن جميع أتباعه في كل القرون يعارضون هذا الفكر. وهذا هو السبب أن الدين المسيحي اكتسب من الإسلام أقل من غيره في العالم أجمع. فاعتقاد المسيحيين بالخطية هو حاجز منيع بين المسيحي والمسلم المفكر باعترافها».

وقال أحد العاملين بين المسلمين وهو مهتد إلى المسيح: «إن السبب الأكبر لقلّة نجاح الكرازة بين المسلمين هو اعتقادهم أن رحمة الله بالخطائي أي عفوه عنه بغير فداء، لا ينافي عدله، فلذا لا يرون لزوماً للفادي».

- أما قولك عن الحجر الذي رفضه البنائون، فمن ميزات الكتاب المقدس أن أحداً لا يستطيع التفسير إلا بمعونة الروح القدس، الذي يساعد المؤمن لفهم مضمون الكتاب العزيز. وقد أشار رسول الجهاد العظيم بولس إلى ذلك بقوله: «أُمُورُ اللَّهِ لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلَّا رُوحُ اللَّهِ. وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحِ الَّذِي مِنَ اللَّهِ، لِنَعْرِفَ الْأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللَّهِ، الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضاً، لَا بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةً إِنْسَانِيَّةً، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ» (١ كورنثوس ٢: ١١ - ١٣).

فالحجر المرفوض هو يسوع المسيح بدليل قول الإنجيل: «كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُنَّ الْعَالَمُ بِهِ، وَمَنْ يَعْرِفُهُ الْعَالَمُ، إِلَى خَاصَّتِيهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ

المسيح إلى الساحة الخارجية، ولكن يده تقصر عن فتح الباب «لئلاً تُضَيَّءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ» (٢ كورنثوس ٤: ٤).

في الواقع أن وجود المسيح الأزلي بصفته ابن الله وتواضعه العجيب وتنازله حتى صار ابن الإنسان لأجل الفداء، هو أساس تعزية جميع المؤمنين به.

والقرآن ينكر بنوية المسيح الأزلية ويقول عنه إن مثله كمثل آدم خلقه الله من تراب (سورة آل عمران ٣: ٥٩) وتؤكد لنا لقاءاتنا مع المسلمين أن لا شيء يثير تأففهم من الديانة المسيحية مثل القول: إن المسيح ابن الله.

ويقول بعض المسلمين المتزمتين إن المسيحيين يقولون بتعدد الآلهة، ويتوهم أنهم يعتقدون الشرك. هذا قول جاهل متكبر أوجده الشيطان لمنع المسلمين من قراءة الكتب المقدسة.

ولو سألنا أبسط مسيحي من هو الله؟ لأجاب فوراً أن الله روح غير محدود، سرمدي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته وعدله وحبه وحقه. وأنه لا يتجزأ ولا ينقسم ولا يتعدد ولا تحيط به الأكوان. ويعجز عن إدراك ذاته وصفاته كل مخلوق وإنسان.

وكم «نظر إلى يسوع واستنار ووجهه لم يخجل» أهيب بك أن لا تفهم من لفظتي «آب وابن» معنى الولادة التناسلية الكثيفة التي توجب تقدم الأب على الابن في الوجود، وأن الابن جاء من زرع زارع، فلعمرو الحق إن هذا القول لا يقول به مسيحي قط في ربه الإله الواحد الأحد، الذي لم يتخذ صاحبة، ولا ولدأ يتولد بالتناسل الحيواني الكثيف. لكن الابن الذي هو الكلمة الأزلي، تجسد إنساناً كاملاً بالروح القدس في أحشاء مريم، بلا انفصال عن لاهوت الذات الأحدية. فالمسيح من حيث هو ابن مريم له جسد زميني. أما من حيث هو كلمة الله، فهو قديم أزلي فعل المعجزات بقوة الطبيعة الإلهية.

والغريب أنه مع ما قاله القرآن والحديث فهما يشهدان للمسيح بسموه وعصمته من الخطأ وقدرته على صنع المعجزات، فإن المسلمين لا يفرقون بينه وبين سائر الأنبياء بالنظر لطبيعته، بل نجدهم ينكرون حتماً وجوده الأزلي، فإن الأحاديث مشحونة بالأخبار عن وجود نور محمد قبل تكوين العالمين (انظر كتاب إنسان العيون لبرهان الدين

سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يوحنا ١: ١٠ - ١٢).

وقد شهد بولس لهذه الحقيقة التي صاروا إليها بعد اهتدائهم إلى المسيح، إذ قال: «فَلَسْتُمْ إِذَا بَعُدْ غُرْبَاءَ وَنَزَلًا، بَلْ رَعِيَّةً مَعَ الْقَدِيسِينَ وَأَهْلَ بَيْتِ اللَّهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرَّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعِ الْمَسِيحِ نَفْسَهُ حَجَرِ الزَّوَايَةِ» (أفسس ٢: ١٩ و٢٠).

وجاء في الإنجيل بحسب البشير لوقا: «وَفِي أَحَدِ تِلْكَ الْأَيَّامِ إِذْ كَانَ (يسوع) يُعَلِّمُ الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ وَبِشْرًا، وَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ الشُّيُوخِ، وَقَالُوا لَهُ: قُلْ لَنَا يَا سُلْطَانَ تَفْعَلُ هَذَا، أَوْ مَنْ هُوَ الَّذِي أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ؟ فَاجَابَ: وَأَنَا أَيْضًا أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، فَقُولُوا لِي: مَعْمُودِيَّةٌ يُوْحَنَّا، مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ فَتَأْمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ نُؤْمَرْ بِهِ؟ وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، فَجَمِيعُ الشَّعْبِ يَرْجُمُونَنَا لِأَنَّهُمْ وَاتَّقُونَ يَا يُوْحَنَّا نَبِيًّا. فَاجَابُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: وَلَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ يَا سُلْطَانَ أَفْعَلُ هَذَا».

«وَابْتَدَأَ يَقُولُ لِلشَّعْبِ هَذَا الْمَثَلُ: إِنْسَانٌ غَرَسَ كَرْمًا وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَامِينَ وَسَافَرَ زَمَانًا طَوِيلًا. وَفِي الْوَقْتِ أَرْسَلَ إِلَى الْكَرَامِينَ عَبْدًا لِكَيْ يُعْطَوْهُ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ، فَجَلَدَهُ الْكَرَامُونَ وَأَرْسَلُوهُ فَارِعًا. فَعَادَ وَأَرْسَلَ عَبْدًا آخَرَ. فَجَلَدُوا ذَلِكَ أَيْضًا وَأَهَانُوهُ وَأَرْسَلُوهُ فَارِعًا. ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ ثَالثًا. فَجَرَحُوا هَذَا أَيْضًا وَأَخْرَجُوهُ. فَقَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ أَرْسِلْ أُنْبِيَّ الْخَبِيبِ. لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ! فَلَمَّا رَأَى الْكَرَامُونَ تَأْمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: هَذَا هُوَ الْوَارِثُ. هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ لِكَيْ يَصِيرَ لَنَا الْمِيرَاثُ. فَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. فَمَاذَا يَفْعَلُ بِهِمْ صَاحِبُ الْكَرْمِ؟ يَأْتِي وَهَيْكَلُ هَؤُلَاءِ الْكَرَامِينَ وَيُعْطِي الْكَرْمَ لِآخَرِينَ. فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: حَاشَا! فَتَنْظَرُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: إِذَا مَا هُوَ هَذَا الْمَكْتُوبُ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوَايَةِ. كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ يَرْتَضِضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ؟» (لوقا ٢٠: ١ - ١٨).

فبين أن هذا الحجر يرمز إلى المسيح وليس إلى محمد. بدليل طلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيدي على يسوع.

- على قولك: «هوذا ملكوت الله يُنزع منكم».

يخبرنا الإنجيل بحسب متى أن يسوع جاء إلى الهيكل لتعليم الشعب حسب عادته. ولما جاء تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قائلين: بأي سلطان تفعل هذا، ومن أعطاك هذا السلطان؟ فتقدم إليهم بمثل الكرام كما تقدم في لوقا ٢٠ وختم المثل بقوله: «...أما قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوَايَةِ. مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا؟ لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَلَكَوتُ اللَّهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَعْمَارَهُ» (متى ٢١: ٣٣ - ٤٤).

- قبل أن تقم نفسك باقتطاع آية من الكتاب المقدس وتستنتج ما يؤيد غرضك، كان يجب أن تعلم أن لهذا المثل الذي ذكره المسيح قرائن أخرى في الكتاب العزيز. فقد جاء في سفر إشعياء النبي: «لَأَنْشِدَنَّ عَنْ حَبِيبِي نَشِيدَ مُحِبِّي لِكَرْمِهِ. كَانَ لِحَبِيبِي كَرْمٌ عَلَى أَكْمَةٍ خَصْبَةٍ، فَتَقَبَّهُ وَتَقَى حِجَارَتَهُ وَعَرَسَهُ كَرْمَ سُورِقٍ، وَبَنَى بُرْجًا فِي وَسْطِهِ، وَتَقَرَّ فِيهِ أَيْضًا مِعْصَرَةٌ فَانْتَظَرَ أَنْ يَضَعَ عِنَبًا فَصَنَعَ عِنَبًا رَدِيئًا. وَالآنَ يَا سَكَّانَ أُورُشَلِيمَ وَرِجَالَ يَهُودَا، أَحْكُمُوا بَيْنِي وَبَيْنَ كَرْمِي. مَاذَا يَصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْ لَهُ؟ لِمَاذَا إِذْ انْتَظَرْتُ أَنْ يَضَعَ عِنَبًا صَنَعَ عِنَبًا رَدِيئًا؟ فَالآنَ أَعْرِفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَرْمِي. أَنْزَعُ سِيَّاحَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّعْيِ. أَهْدِمُ جُدْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدُّوسِ. وَأَجْعَلُهُ خَرَابًا لَا يُقْصَبُ وَلَا يُتَقَبُّ، فَتُطْلَعُ شُوكٌ وَحَسَكٌ. وَأُوصِي الْعَيْمَ أَنْ لَا يَمْطُرَ عَلَيْهِ مَطْرًا. إِنَّ كَرْمَ رَبِّ الْجُنُودِ هُوَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، وَعَرَسَ لَدَيْهِ رِجَالَ يَهُودَا» (إشعياء ٥: ١ - ٧ انظر أيضاً مزمو ٨٠: ٤ - ١٢).

في هذا المثل شاء يسوع أن يقدم لسامعيه وخصوصاً رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، برهاناً من كتبهم قد أوحى به إلى أحد عظماء أنبيائهم وهو إشعياء.

وعقب المسيح على المثل بقوله: «مَنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا» (مزمو ١١٨: ٢٣). أي أن هذا الأمر حير كل من ينظر لكونه خلاف لما توقعه أكثرية الشعب اليهودي، فلو لم يكن الفداء من حكمة الله ما أمكن أن يحدث. ولا ريب أن كل الحوادث المتعلقة بالفداء هي عجيبة للغاية. وهل أعجب من أن الله يرسل ابنه الوحيد فادياً، وأن الكلمة الأزلي صار جسداً، ورفض من الأمة المختارة وصلب؟ وهل أعجب من قيامته من بين الأموات في اليوم الثالث وصورته الصخر الذي وضع عليه أساس الكنيسة؟

ثم ختم المثل بهذا الحكم: «لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل ثماره».

لقد أوضح المسيح بهذه الآية مقصده من ذلك المثل، إذ فسر الكرم بملكوت الله وقال لليهود: إنَّ وسائل النعمة والبركات المختصة بشعب الله تُنزع منهم وتُعطى لكل الذين قبلوا يسوع المسيح مخلصاً وفادياً، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة (رؤيا ٥: ١٠ - ١١).

وقد سبق ليسوع أن أنذر اليهود بقوله «وأقول لكم: إنَّ كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصري الأسنان» (متى ٨: ١١ - ١٢).

من هو الباراكليتس؟

منذ زمن بعيد، وهذه الكلمة «باراكليتوس» موضوع للنقاش. فقد قال بعضهم إن كلمة باراكليتس أو البرقليطس أو بركليطس اليونانية، تقابلها كلمة «منحمن» والمنحمن في اللغة السريانية «محمد». وهذا التفسير رواه ابن هشام في سيرة النبي عن ابن اسحاق. وقد شاع هذا التفسير بين عامة المسلمين. وأنا لا أريد أن أثير جدلاً دينياً حول هذا الموضوع، ولكن بمناسبة الرد على السيد عبد الرحمن عوض من مصر، أرى لزماً عليّ أن أستعرض العبارات التي تكلم بها الرب يسوع وسجلها يوحنا الإنجيلي في سفره المجيد.

أولاً: يوحنا ١٤: ١٦ - ١٧ قال يسوع: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليملك معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتُم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم».

ثانياً: يوحنا ١٤: ٢٦ : «وأما المعزّي، الروح القدس، الذي سبّسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم».

ثالثاً: يوحنا ١٥: ٢٦ و٢٧: «ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي. وتشهدون أنتُم أيضاً لأنكم معي من الأبتداء».

رابعاً: يوحنا ١٦: ٧ : «لكني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم».

إن الذي يتأمل في هذه الآيات بالمقارنة مع الآيات الأخرى الواردة في أسفار العهد الجديد الخاصة بشخص وعمل الروح القدس «الباراكليتوس» لا بد أن يلاحظ أنها لا تخدم غرض القائلين بأن كلمة «باراكليتس» تعني محمداً، وذلك للأسباب التالية:

- لأن المسيح نفسه فسر كلمة باراكليتس بعدة صفات مميزة:
- روح الحق، الروح القدس، الروح المنبثق من عند الآب. وهذه الصفات لا تنطبق على محمد، لأن الباراكليتس روح إلهي والنبي محمد إنسان بشري.
- قال المسيح الباراكليتس يمكث مع تلاميذه إلى الأبد ويكون فيهم. ومحمد لم يكن في وسعه أن يمكث معهم ويكون فيهم، لأنه جاء إلى العالم بسبعة قرون ونيّف بعد المسيح.
- من صفات المعزّي أن العالم لا يراه ولا يعرفه. وأما النبي محمد فقد رآه أبناء هذا العالم وجالسه وسمعوه وتكلموا إليه.
- إن المعزّي هو رسول المسيح، وهذا الأمر لا يقبله المسلمون في أمر محمد، لأنهم يقولون أن محمداً أعظم من المسيح.
- إن المعزّي يشهد في قلوب المؤمنين به، ويعلن لهم أن يسوع ابن الله (متى ١٦: ١٦ - ١٧) ومحمد لا يقر بهذه الحقيقة بل يحسبها كفرة (سورة المائدة ٥: ١٧).
- وإن المعزّي يعلم التلاميذ ويرشدهم إلى جميع الحق. ومحمد لم يكن ممكناً أن يعلمهم أو يتصل بهم لأنه جاء إلى الدنيا بعدهم بعدة مئات من السنين.
- إن الأوصاف والأعمال الخاصة بالباراكليتس لا تنطبق على كائن بشري من لحم ودم تراه الأعين وتلمسه الأيدي، بل هو روح. هذا مع العلم أن مجيء هذا الروح المعزّي تم فعلاً قبل الدعوة الإسلامية بما يقرب الستماية عام.
- جاء في الإنجيل عدد عديد من الألقاب للباراكليتس تؤكد أنه روح إلهي لا إنسان. فقد سُمي بالمعزّي، وروح القوة، وقوة الأعالي، والمبكت وروح الله القدوس، والروح الذي يرشد المؤمن في صلواته، والروح القدس.

فلو كان يسوع تكلم عن لاهوته بدون تدرج وبطريقة فجائية مثل هذه، فقال من الأول إنه ابن الله الوحيد المتجسد، والمساوي للآب، والمشارك مع الله في صفاته الإلهية، لما أمكن أن يستمر في مدة خدمته التبشيرية ثلاث سنوات. ولكن طريقته التدريجية، مكنته من تأدية رسالته وإعلان سر تجسده بوصفه المسيا ابن الله مخلص العالم. فإنه تكلم وتصرف بطريقة تشير إلى حقيقة شخصه، وتنبه أذهان السامعين، وتلفتهم إلى ألوهيته. في ما يلي أهم نصوص الإنجيل الخاصة بذلك:

● قبيل انطلاقه إلى السماء أوصى المسيح تلاميذه أن لا يروحوا أورشليم حتى يتعمدوا بالروح القدس (أعمال ١: ٤ - ٥). وقد انسكب الروح المبارك على التلاميذ في يوم العنصرة (أعمال ١: ٤ - ٤).

وهذا الانسكاب تم النبوة التي جاءت في يوثيل النبي ٢: ٢٨ وقد رافق انسكابه عجيبية التكلم بالسنة غريبة، وبين أن هذا لا علاقة له برسالة محمد.

بنوة المسيح لله

وأخيراً نرد على قولك إن المسيح ليس ابن الله كما أنه لم يدع الألوهية.

أولاً - إن التأمل في العظة على الجبل، يدلنا على أنه علم بسلطان لا يناسب غير المشتري الإلهي رب إسرائيل كقوله: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بِاطِّلا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمُجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أحمقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ» (متى ٥: ٢١ - ٢٢).

لقد أجمعت آراء الباحثين على أن الطريقة التي أعلن بها يسوع لاهوته للشعب اليهودي تحمل طابع الصدق. والواقع أن مجرد التأمل في محتويات العهد الجديد يمحنا على التسليم بصحتها. ويأتي بنا إلى حل معضلة ظهور الإيمان في محيط يهودي شديد التعصب لعقيدة التوحيد المغلق. فهي طريقة تدرج في إعلان هذا السر العظيم، تناسب عقليات السامعين وتتطوي على احتراس مصحوب بحكمة إلهية فائقة.

«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (متى ٥: ٢٧ - ٢٨).

ويمكننا أن نفهم عقلية المجتمع اليهودي وتعصبه الشديد لعقيدة التوحيد المطلق من التأمل في الرواية الخاصة بمقتل الشهيد استفانوس كما جاءت في سفر أعمال الرسل، حيث نقرأ أن أعضاء المجلس ظلوا صابرين على كلام الشهيد، حتى سمعوه يقول: «أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهْدُهُ آبَاؤُكُمْ، وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ، الَّذِي أَنْتُمْ الْآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ، الَّذِينَ أَخَذْتُمْ النَّامُوسَ بِتَرْتِيبِ مَلَائِكَةٍ وَلَمْ تَحْفَظُوهُ؟. فَلَمَّا سَمِعُوا هَذَا حَقَقُوا بِقُلُوبِهِمْ وَصَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ عَلَيْهِ (من شدة الغيظ). وَأَمَّا هُوَ فَشَخَّصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُتَمَلِّئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللَّهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. فَقَالَ: هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَأَبْنِ الْإِنْسَانَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. فَصَاحُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَسَدُوا آذَانَهُمْ، وَهَجَمُوا عَلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ» (أعمال ٧: ٥٢ - ٥٨).

«أَيْضاً سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَحْنُثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا بِالْبَيْتَةِ» (متى ٥: ٣٣ - ٣٤).

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَعِينٌ وَسِنٌّ بَسِينٌ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوَمُوا لِالشَّرِّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّ لهُ الْآخَرَ أَيْضاً» (متى ٥: ٣٨ - ٣٩).

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: نُحِبُّ قَرِيْبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (متى ٥: ٤٣ - ٤٤).

فمن هو ذلك الذي له السلطان أن يقول «وأما أنا» وأن يزيد على الناموس الإلهي، الذي تسلمه موسى من الرب في سيناء؟

لقد حكموا عليه بالموت لأنهم اعتبروا كلامه عن وقوف يسوع عن يمين الله تجديفاً، لأن هذه العبارة معناها اشتراك يسوع مع الآب في مجده.

قال يسوع في لوقا ٦: ٢٢ «طُوبَاكُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ، وَإِذَا أَفْرَزُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ، وَأَخْرَجُوا أَسْمَكُمْ كَشَرِّيرٍ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الْإِنْسَانِ». قابلها بقوله: «طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ

ولم يكتف يسوع بتطهير البرص وإقامة الموتى، بل أظهر أن له سلطاناً أن يغفر الخطايا، ويجبرنا مرقس الإنجيلي أن يسوع: «دَخَلَ كَفَرْنَا حَوْمَ أَيْضاً بَعْدَ أَيَّامٍ، فَسَمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتِ. وَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدَّ يَسْعُ وَلَا مَا حَوْلَ الْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ. وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجاً يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةً. وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ، كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَوْا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ. وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِنَجَادِيْف؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؟ فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تَفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيِّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَأَحْمِلْ سَرِيرَكَ وَأَمْشِ؟ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا - قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: لَكَ أَقُولُ قُمْ وَأَحْمِلْ سَرِيرَكَ وَأَذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ. فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ» (مرقس ٢: ١ - ١٢).

وإذا تأملنا في قصة المرأة الخاطئة، التي غفر لها يسوع خطاياها وهي في بيت سمعان الفريسي، نرى قصد يسوع في إظهار سلطانه على غفران الخطايا، إذ قال لمضيفه: «يَا سَمْعَانُ عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ. فَقَالَ: قُلْ يَا مُعَلِّمُ. كَانَ لِمَدَايِنِ مَدْيُونَانَ. عَلَى الْوَّاحِدِ خَمْسُ مِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الْآخَرَ خَمْسُونَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَاحِحَهُمَا جَمِيعاً. فَقُلْنَا: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟ فَاجَابَ سَمْعَانُ: أَظُنُّ الَّذِي سَاحَحَهُ بِالْأَكْثَرِ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ حَكَمْتُمْ. ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسَمْعَانَ: أَتَنْظُرُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتِكَ، وَمَاءً لِأَجْلِ رِجْلِي لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلِي بِالْدمُوعِ وَمَسَحَتْهَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. قَبْلَةً لَمْ تُقْبَلِنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكْفَ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلِي. بَرِزْتِ لَمْ تَدْهِنْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنْتْ بِالطِّيبِ رِجْلِي. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غَفِرْتَ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةَ لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً. وَالَّذِي يَغْفِرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً. ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ. فَابْتَدَأَ الْمُتَكَبِّرُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضاً؟ فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: إِيمَانُكَ قَدْ خَلَّصَكَ! اذْهَبِي بِسَلَامٍ» (لوقا ٧: ٤٠ - ٥٠).

نلاحظ في هذه الحادثة أن يسوع لم يقل للمرأة الخاطئة أنها حصلت على غفران خطاياها نتيجة لتوبتها، بل قال: «لأنها أحبت كثيراً» أي أنها أحبت شخصه، وهذا يعني أن محبة يسوع تعادل محبة الله نفسه.

الرَّبِّ» (متى ٥: ١٠). فالبر في عرف سامعيه هو ناموس الرب أو الرب نفسه. إذا يكون يسوع بهذا الإعلان، قد جعل نفسه مساوياً للرب الإله.

وليس هذا وحسب، بل أن يسوع طلب المحبة الكاملة والتسليم التام لشخصه، إذ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ لَا يَأْخُذُ صَلْبِيهِ وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي» (متى ١٠: ٣٧ - ٣٨).

إنَّ الكلام بهذه الطريقة، يذكر سامعيه اليهود بما جاء في التوراة لتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، فيسوع بطلبه المحبة الكاملة لشخصه جعل نفسه مساوياً للرب إله إسرائيل، الذي له وحده يحق هذا التكريس. وقد أكد هذا الحق بقوله: «لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الْإِبْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الْآبَ. مَنْ لَا يُكْرِمُ الْإِبْنَ لَا يُكْرِمُ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ» (يوحنا ٥: ٢٣). أي أن المشيئة الإلهية تطلب من الناس أن يكون إكرام الابن مساوياً لإكرام الآب. وينتج من ذلك أن الابن مساوٍ للآب، وأنه يجب أن نقدم للابن ما تقدمه للآب من المحبة والإكرام والطاعة وكذلك يفعل سكان السماء (رؤيا ٥: ١٢).

ثم علّم أنه سيكون ديان الأحياء والأموات في اليوم الأخير، إذ قال: «فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ يَبُوقُ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَّاحِ» (متى ٢٤: ٣١). ومن يستطيع أن يقول شيئاً كهذا إلا أن يكون الرب نفسه؟

ثانياً - إنَّ التأمل في المعجزات التي صنعها يسوع، يُظهر أنه صنعها باسمه وبسلطانه الخاص. صحيح أن أنبياء الله صنعوا معجزات مشابهة ولكنهم صنعوها باسم الرب. أما يسوع فقد صنعها بإرادته وقوته الخاصة. فإننا نقرأ عن الرجل الأبرص الذي أتى إليه طالباً الشفاء قائلاً: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي. فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: أَرِيدُ فَاطْهَرُ. وَلِلْوَقْتِ طَهَّرَ بَرَصُهُ» (متى ٨: ٢ - ٣).

ثم أنه لما سَكَنَ البحر الهائج، لم يقل أنا أمرك باسم الرب بل انتهره بسلطانه قائلاً له: اسكت (مرقس ٤: ٣٩).

وأيضاً لما أقام ابن أرملة نايين من الموت: «تَقَدَّمَ وَلَمَسَ اللَّعْشَ، فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ. فَجَلَسَ أَلْمِيَتْ وَأَبْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ» (لوقا ٧: ١٤ - ١٥).

ففي هذا الجواب نراه يشير إلى نبوة دانيال الخاصة بالمسيا إذ يقول: «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سَحَابِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأَعْطِي سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِيَتَّعَبِدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَاللِّسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانُ أَبَدِيٍّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَتَّقِرُضُ» (دانيال ٧: ١٣ - ١٤).

الخلاصة

إذا تأملنا في هذه الحقائق، نجد أنفسنا أمام شخص لم يظهر مثله في تاريخ البشرية. إن صورته المرسومة لتأخذ بمجامع القلوب وتلزم السجود له، فإننا نجد لاهوته مرتبطاً بجميع أطوار حياته، ومرتبلاً بأقواله وأعماله ومعجزاته وحياته وموته على الصليب وقيامته وصعوده. تلك هي الحقائق التي ألزمت رجال العهد الجديد، الذين رضعوا لبن التوحيد منذ حدثتهم، على الإيمان بلاهوته. فإذا قبلنا هذه الحقائق يمكننا العثور على معضلة المسيحية. وإذا لم نقبلها نترك منشأ المسيحية معلقاً في الهواء. ونجد أنفسنا ملزمين بأن نعتقد بأن الكنيسة الأولى قد لفقت هذا التاريخ، وأن هذه الحوادث أتت من خيال جماعة من الجليليين البسطاء. ولكن أي عقل، يمكن أن يصدق أن أناساً من العاملين الجهلاء أمكنهم أن يرسموا هذا الشخص الإلهي البديع من مخيلاتهم. وأمكنهم أن يتخيلوا عصمته من الخطية، وهم الضعفاء المحاطون بالخطية. وأن يتخيلوا لاهوته وهم الذين يجري في عروقهم دم التوحيد، وأن يتصوروا تعدد الطرق والأساليب وتنوع الظروف والمناسبات التي أعلن بها لاهوته. وأمكنهم أن يتصوروا الضعف مع القوة والمجد المقنع مع الاتضاع.

تلك هي معضلة المسيحية، وهذا هو حلها كما ورد في العهد الجديد. ونحن نقبل هذا الحل، لأنه لا يوجد حل آخر يحل محله. لذلك نحن أيضاً نؤمن ولذلك نحن نتكلم.

المسيح كلمة الله

إن تلقيب المسيح «بكلمة الله» يدل على أن محمداً أخذ هذا اللقب من شفاه المسيحيين الذين كانت له عشرة معهم لأنها ألقاب مسيحية محضة.

وقد أجاد الدكتور تسدل بقوله في كتابه ميزان الحق: «إن الكلمة تدل على تعبير ما في عمل المتكلم، وهو في هذه الحالة يكون الله نفسه. وعليه إذا كان المسيح كلمة من الله

ثم إننا نقرأ أن يسوع لما أرسل تلاميذه للمرة الأولى، أرسلهم باسمه وأعطاهم السلطان أن يشفوا المرضى، ويخرجوا الشياطين. (اقرأ متى ١٠: ١ - ٧ ومرقس ٣: ١٥ - ١٩ ولوقا ٩: ١ - ٣).

ثالثاً - إنه تكلم عن نفسه باصطلاح خاص في علاقته مع الأب السماوي فإنه وصف الله بأنه أبو شعبه، وأعلن أبوة الله للبشر. ولم يكن في هذا مبتكراً، لأن أنبياء العهد القديم، سبقوا أن وصفوا أبوة الله لشعبه وأتقيائه، هكذا نقرأ في إشعياء: «أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا، وَلَيْتَنَا مِنْذُ الْأَبَدِ أَسْمُكَ» (إشعياء ٦٣: ١٦). وشواهد أخرى كثيرة في أقوال موسى وهوشع وإشعياء وغيرهم. ولكن يسوع المسيح وصف أبوة الله له بأنها فريدة، تختلف عن أبوة الله للبشر. فإنه كثيراً ما تكلم عن الله بلفظة أبي. ولكن لم ترد العبارة «أبانا» إلا في الصلاة الربانية.

وأوضح الإعلانات لعلاقة يسوع بالأب السماوي ما جاء في عبارته المشهورة عندما تهلل وقال: «أَحْمَدُكُمْ أَهْبَاءُ الْآبِ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَحْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفَهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ... وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْابْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْابْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ. تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى ١١: ٢٥ - ٢٨). ففي هذه العبارات المجيدة نسمع صدى صوت الأبدية وندرك عظمة هذا السر العجيب إذ نرى أن يسوع قصر معرفة الأب على نفسه فقط، وقصر معرفة الابن على الله فقط، وهذه العلاقة المتبادلة تدل على المساواة.

يأتي بعد ذلك حادث آخر، أراد يسوع أن ينبه اليهود إلى علاقته الفريدة بالأب، وهو سؤاله الفريسيين: «مَاذَا تَطَّوُّنَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ابْنُ دَاوُدَ. قَالَ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَن يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ؟ فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟» (متى ٢٢: ٤١ - ٤٥).

وأخيراً نراه واقفاً أمام قيافا رئيس الكهنة، قبل صدور الحكم عليه. وقد قال له الرئيس: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الْآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِساً عَن يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ» (متى ٢٦: ٦٣ - ٦٤).

بأول ذكر جاء عنه حسب الترتيب التاريخي ثم نسير فيه تدريجياً «وكرونولوجياً» (أي بترتيب زمني) حتى نصل إلى آخر سورة، ولكن للأسف لا يوجد اتفاق بين علماء الإسلام أنفسهم على الترتيب التاريخي للسور القرآنية، ويقرون أن ترتيبها الحالي ليس تاريخياً.

ماذا قال بولس؟

- أما عن قولك إن الخطية التي قالت بها المسيحية، فما هي إلا صدى للوثنية التي تلونت بها المسيحية، كما أعلن بولس، حتى يتخذ منه كل قوم حالاً. فصار لليهودي كاليهودي وللوثني كوطني.. الخ.

قبل اهتدائه كان بولس يهودياً متعصباً، وكان اسمه شاول. وقد اشتهر بالغيرة لاناموس موسى، إذ نجده يصف نفسه بالقول: «إِنْ ظَنَّ وَاحِدٌ آخَرَ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ فَأَنَا بِالْأُولَى. مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ، عِبْرَانِي مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهَدٌ الْكَنِيسَةِ. مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلَا لَوْمٍ. لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِيحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةَ لِكَيْ أُرِيحَ الْمَسِيحَ» (فيلبي ٣: ٤ - ٨).

ونجربنا مؤلفو تاريخه أن أباه كان فريسياً وقد رُبي على الناموس الضيق.

ولما أتم بولس ما يمكن تحصيله في بلده طرسوس، ذهب في حدائته إلى أورشليم ليدرس الشريعة اليهودية والعلوم الدينية. وقد تتقف دينياً عند رجلي الرباني غملاثيل المشهور في ذلك العصر. وقبل أن يظهر له يسوع المسيح، بذل طاقته في اضطهاد المسيحيين. والذي أغاظه بالأكثر ما قاله الشهيد استفانوس قبل رحمة: إن يسوع الناصري سينقض هذا الموضع ويغير العوائد التي سلمها موسى لشعبه. ونظراً لغيرته أُعطي سلطاناً من رؤساء اليهود لإهلاك المسيحيين في دمشق.

ولكن فيما هو سائر إلى تلك المدينة، ظهر له الرب يسوع وتكلم إليه، فآمن به. وقد روى كيفية اهتدائه أمام أغريباس الملك فقال:

فما هو إلا تعبير إرادة الله. وحيث أن الله بنفسه يدعوه كلمة فهو تعبير إرادة الله الكامل، أو بعبارة أخرى استعلان الله وبواسطته تكلم عند إرساله لهم روحه القدس. فكلمة الله إذا تبيّن أن المسيح هو الوحيد الذي يعلن الله للناس، إذ هو يعرف الله ويعلن إرادته تماماً. والمسيح نفسه أعلن هذه الحقيقة إذ يقول: «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَانَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَانَ إِلَّا الْآبَانُ وَمَنْ أَرَادَ الْآبَانَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ. تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى ١١: ٢٧، ٢٨).

وفي ختام هذا البحث ألفت انتباهك إلى الآية ٩١ من سورة الأنبياء ٢١ القائلة: «وَأَلَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَتَفَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ». فاستعمال كلمة «آية» بالمفرد على حين أن الكلام على الاثنين يذكرنا بما ورد عن مخلصنا في نبوة إشعيا، إذ يقول: «لأنه يولد لنا ولدٌ ونُعطي أبناءاً، وتكون الرياسة على كتفيه، ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيساً للسلام» (إشعيا ٩: ٦). وقد اجتهد البيضاوي أن يقلل من أهمية هذا القول بما وسعت حيلته من التأويل، إذ قال: «آية للعالمين، فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى».

حياة المسيح وموته ورفعته

تعرضنا ثلاث صعوبات في ذكر ما جاء في القرآن عن حياة يسوع المسيح.

الأولى تجزؤ القرآن، أي عدم اتصال أخباره وتسلسلها، فلا تجد فيه ترتيباً تاريخياً ولا تسلسلاً منطقياً، لأن آياته نزلت حسب قول المسلمين في أوقات متقطعة وأماكن مختلفة، هذا علاوة على التشويش العام الذي يصادفه القارئ الراغب في أن يتتبع أمراً من بدايته إلى نهايته. فتجد الشرائع ممزوجة بالقصص والأخبار، والوعد والوعيد.

الصعوبة الثانية، والأكثر تعقيداً هي أن أقوال القرآن عن الرب يسوع المسيح لا تخلو من التناقض مثل بعض تعاليمه. فبعض الآيات تتكلم عنه كمجرد إنسان ونبى. بينما بعضها الآخر يطلق عليه ألقاباً لا يلقب بها إنسان آخر في الوجود. وأكبر مناقضة هي ما جاء عن موته، فإنه لا يمكن التوفيق بين تلك الآيات إلا تعسفاً.

والصعوبة الثالثة، هي الترتيب التاريخي للسور فإذا تتبعنا نشوء الفكر وتقدمه عند محمد عن المسيح وجب أن نبدأ

لما سمعوا هذه الأنباء، لم يستريحوا وحدثت مناقشات حامية فعقدت كنيسة أورشليم مؤتمراً لبحث الموضوع، فأخبرهم بولس وبرنابا ما صنعه الله معهما خلال رحلاتهما التبشيرية من عجائب في قبول الإنجيل الذي بشرنا الأمم به ابتداء من قبرص إلى آسيا الصغرى. وبعد سماع هذه الأخبار السارة عن إقبال ألوف الأميين على اعتناق الديانة المسيحية، قام بطرس وذكر الحاضرين بأن الله بغمه اختار أن يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنوا.

وأخيراً قام الرسول يعقوب الذي ترأس المؤتمر ولخص كل المناقشة وخرج منها بأربع نقاط، وهي أن يتمتع المسيحيون من أصل أممي عن نجاسات الأصنام والزنى والمخوق والدم.

ويخبرنا مؤرخو الكنيسة أن بولس كان يتعامل مع الأمم بوداعة وتواضع، بعيداً عن غطرسة اليهود. وعامل المؤمنين منهم بمحبة المسيح، وأشرك بعضهم معه في العمل التبشيري، وأقام بعضاً آخر قسوساً على الكنائس. وهذا يفسر قوله صرت: «لِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ - مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلَا نَامُوسٍ» وهو يعني أنه لم يتبع شريعة اليهود الرمزية وهو بين الأمم، بل كان تحت ناموس المسيح (١ كورنثوس ٩: ٢٠ - ٢٢).

كلمة أخيرة

جاء في الصفحة الثانية من رسالتك: «هذه رسالة إلى من أراد الهداية»، ولكنك شحنت الصفحات الأخرى بأقوال أقرب إلى السباب منها إلى «الدعوة إلى كلمة سواء» وكان في وسعنا أن نرد الصاع صاعين، لأن الإسلام فيه تعثرات كثيرة جداً، ولكننا لم نفعل، لأن روح المسيح قد طهر أفكارنا وبالتالي أقلامنا، ولأن المسيح أعطانا هذه الوصية: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ» (متى ٥: ٤٤). وبالفعل نحن نصلي لأجلك حتى الرب الذي نعبد بالروح والحق يعطيك بصيرة لتعرف الحق، فيحررك من روح التعصب.

«وَلَمَّا كُنْتُ ذَاهِباً فِي ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ، بَسُلْطَانٌ وَوَصِيَّةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، رَأَيْتُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ، أَهْبَاءَ الْمَلِكِ، نُوراً مِنْ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ قَدْ أَتْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الدَّاهِبِينَ مَعِي. فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الْأَرْضِ، سَمِعْتُ صَوْتاً يُكَلِّمُنِي بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: شَاوُلُ شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَّهْدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاحِسَ قَقُلْتُ أَنَا: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَّهْدُهُ. وَلَكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لِأَنِّي هَذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لِأَنْتَجَبَكَ خَادِماً وَشَاهِداً بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَطَهَرْتُكَ بِهِ، مُنْقِذاً إِلَيْكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الْآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، لِتَنْتَحِ عِيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالْإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أعمال ٢٦: ١٢ - ١٨).

أما عن قول الرسول الكريم: فصرت لليهودي كيهودي.. الخ. فيبدو أنك لم تحسن قراءته، وتبعاً لذلك لم تحسن فهمه. أو لعلك عمدت إلى التعقيم عليه، وذلك بتجريد الآية من قرائنها.

لقد سبق أن قلنا إن الرسول بولس تربي دينياً عند قدمي الرباني غملائيل. ففي مدرسة هذا العالم الشهير تتدفق في السنن اليهودية ورسومها في كل ما لا ينافي حكم ضميره، فأبى أن يغيظ اليهود لغير اضطرار لتتاح له الفرصة، لكي يؤكد أن يسوع هو المسيح المنتظر. وفوق كل اعتبار كان ينبغي أن يبين أن المسيحية لم تأت لهدم الناموس بل لتكميله.

لقد كان عبرانياً بالمولد، كما رأينا. وبغير هذا لم يكن في وسعه أن يؤثر على اليهود، أو يسمح له بالدخول إلى مجامعهم للكراسة بالإنجيل.

أما من جهة الأمم فيخبرنا سفر أعمال الرسل أن الكنائس المسيحية الأولى وخصوصاً في اليهودية كانت تمارس عبادتها بحسب ناموس الوصايا التي رتب موسى بعضها، وزاد عليها المعلمون والربيون في الأجيال المتعاقبة الكثير من الممارسات. وكانت هذه الممارسات وعلى رأسها الختان تشكل حاجزاً منيعاً. وخصوصاً الختان. فقد قال أحد الربيين: «لولا هذا الطقس لما وجدت الأرض والسماء». وقال آخر إنه يعادل كل وصايا الناموس. ولكن كنيسة أنطاكية التي عمل فيها بولس وبرنابا سنتين، فتحت باب الإيمان المسيحي لقبول الأميين الذين قبلوا رسالة الإنجيل، لكن الإخوة من أصل يهودي في كنيسة أورشليم

الرجاء استخدام الاستمارة الخاصة بالموقع للاتصال بنا:

www.the-good-way.com/ar/contact

مسابقة كتاب امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن

او يمكنك ارسال رسالة عادية الى:

عزيزي القارئ،

The Good Way
P.O. BOX 66
CH-8486Rikon
Switzerland

إن رسالة الكاتب، كما يشير عنوان الكتاب، هي دعوة للفحص والاختبار. فامتحن معلوماتك بعد قراءة الكتاب يتمعن وأجب عن الأسئلة التالية وذلك بنسخ الأسئلة ونقلها على استمارة الاتصال في الموقع، وكتابة الإجابة أسفل كل سؤال.

١. ما هي الآلة الصالحة للفحص والامتحان؟
٢. ما هي خلاصة الآيات ٢٢ - ٢٤ من ١ كورنثوس ١؟
٣. من أجل ماذا؟ ومن أجل من مات المسيح؟
٤. ما هو مضمون شهادات الأنبياء، الذين سبقوا مجيء المسيح، عنه؟
٥. هل صرح المسيح بموته وصلبه؟ أعط مثلاً واحداً.
٦. أذكر بعض الأحداث التي رافقت قيامة المسيح.
٧. ما هو شعار المسيحية الرئيسي منذ ظهورها؟
٨. أذكر آية قرآنية تشير إلى موت المسيح أو قتله.
٩. لخص تفسير الرازي للآية ٥٥ من سورة آل عمران.
١٠. ما هي في رأيك أهم آية في عظة المسيح على الجبل؟
١١. أي الأديان القائمة يدعو للحرب والقتال وأبها يدعو للسلام والمحبة؟
١٢. هل يصح الحكم على الدين من سلوك أتباعه أم من تشريعه وأحكامه؟
١٣. في رأيك هل الغزوات الإسلامية الأولى كانت وسيلة أم تشريعاً؟
١٤. ما تعريفك للخطية؟
١٥. اشرح معنى الآيات في رومية ٥: ١٨ و١٩ و٢٠.
١٦. ما هي أجرة الخطية؟
١٧. كيف ننجو من الهلاك الذي جرّته علينا الخطية؟
١٨. هل تدعو المسيحية إلى البر والصلاح والقداسة أم إلى الوثنية وعبادة الأصنام؟
١٩. لخص حياة يسوع المسيح في جملتين مفيدتين.
٢٠. كيف ندفع تهمة الكفر والشرك عن المسيحية؟
٢١. بيّن الفرق بين تعليم القرآن وتعليم الإنجيل عن شخصية الروح القدس.
٢٢. أعط أمثلة عن بنوة يسوع الإلهية لله.
٢٣. ما الذي تتعلمه من حياة بولس واهتدائه وتبشيريه؟